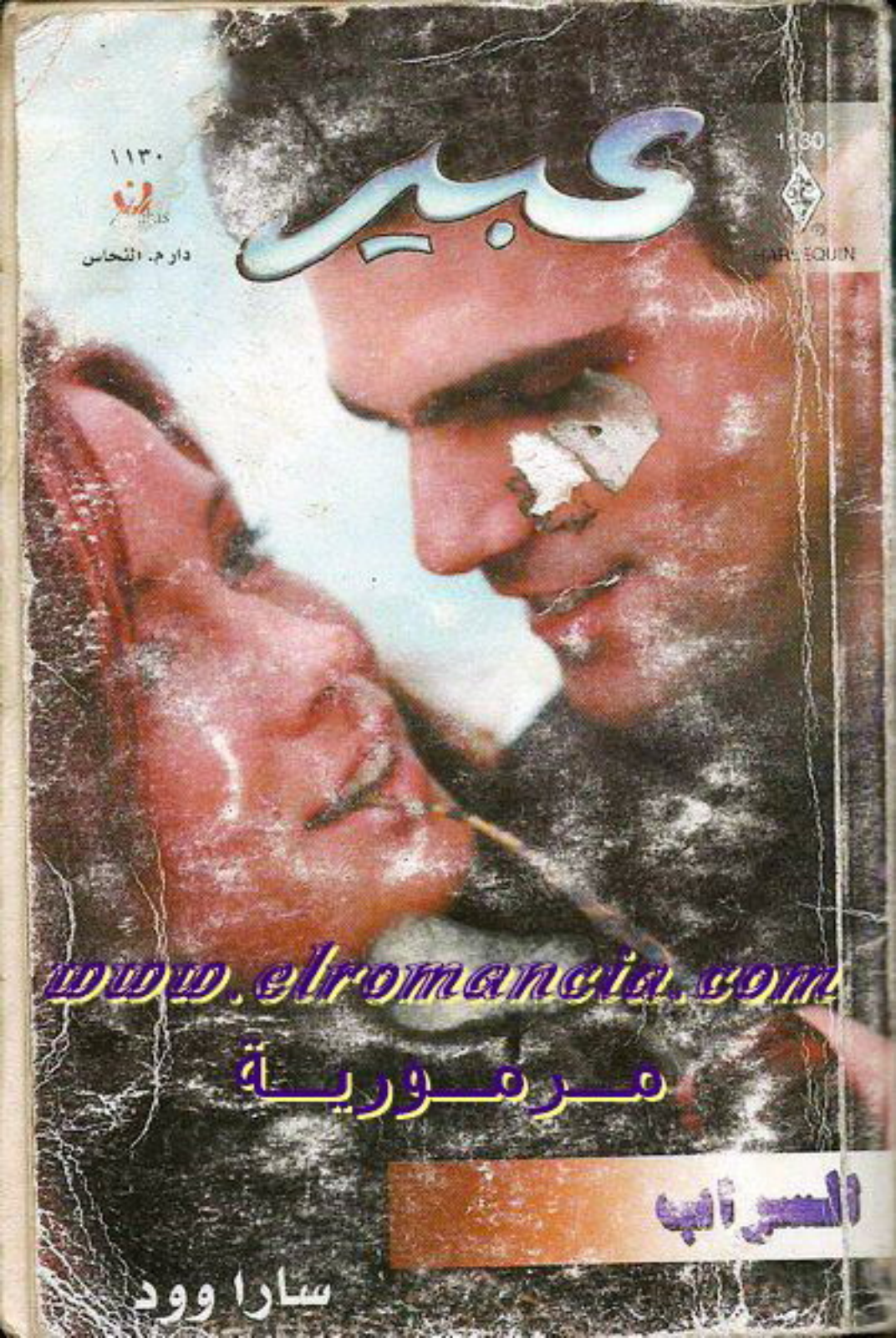
عبير
١١٣٠
دار هـ. النحاس
1130
HARLEQUIN
www.elromancia.com
مرمورية
السراب
سارا وود

السراب

عانت لين الامرين من العذاب والوحدة وبات عمرها جحيماً لا يطاق. فقد كانت شابة جميلة برينة اعجبت بشخص ادخلها السجن. كان حبها الاول ولكنها ستسحقه كما سحقها فقررت تغيير معالم وجهها واسمها ونصبت له فخاً اطاح بعقله.

www.liilas.com

سورياً: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

هل سأبقى هنا كثيراً؟ انا اخاف هذا المكان.»

« ادرك انك تملكين الشجاعة الكافية لتمضية الليلة هنا، وغداً تمثلين امام قاضي التحقيق الذي سيعين الكفالة المطلوبة لاطلاق سراحك.»

اغرورقت عيناها بالدموع: « لا، لا استطيع البقاء في زنزانة كالمجرمين.»

امسك بيرت بيدها وقال مشجعاً: « اين فتاتي الشجاعة؟ ألا تستطيعين الصبر ليلة واحدة؟»

داعب وجهها بيده فأحست ببساط الحب يحملها على رياح الاحلام بعيداً عن الواقع القاتم الذي اوقعها في حظ عاثر. وقال لها: «سأذهب الآن لاتدبر محامياً واعود بأسرع ما يمكن.»

سارا وود

ترعرعت سارا في بلدة بورتسماوث في جو من السعادة والاطمئنان. دفعها الفقر من العمل على الآلة الكاتبة الى امتهانها وظيفة التعليم ثم انتقلت الى كتابة الروايات. تعيش سارا حياة زوجية سعيدة ولديها ولدان. وتستمد الهامها من الطبيعة التي تحيط بمنزلها فتعزلها عن كل الهموم والاحزان وتنصرف الى كتابة رواياتها بشوق واندفاع.

عبير ١١٣٠

Abir 1130

السراب

سارا وود

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

الفصل الاول

غاب الشاب والفتاة في هيام في ظل شجرة نخيل على ذلك الشاطىء الفضي الغارق بنور القمر، وتقلص العالم بالنسبة اليهما ليصبح بحجم الحالة الدافئة التي تجمعهما.

وأخيراً افاقا من حلمهما على صيحات ضاحكة لمجموعة من الفتيات جلسن في حلقة على الرمال ينشدن اغنيات صاخبة مصحوبة بالتصفيق والقهقهات.

نظر الشاب الى فتاته المغمضة العينين وقال مازحاً:

«هل غفوت؟»

ابتسمت، ثم فتحت عينيها اللامعتين وأجابت بصوت ملؤه السعادة:

«لا، وليس في نيتي ان أنام الليلة.»

«حتى ولو كنت بطل أحلامك؟»

قالت هامسة:

«وما حاجتي للاحلام وانت هنا الى جانبي يا بيرت؟»

لم يقو الرجل على مقاومة كلامها فشدها اليه لكنه ما لبث ان امسك بكتفيها ودفعها عنه بشيء من العنف

قائلاً بصوت تخنقه الغصة:
«آه لو تدركين ما تفعلينه بي يا لين.»
ضحكت لين بخبث وحاولت الاقتراب منه ثانية لكنه صدها، فسألت باستغراب:«لماذا تبتعد عني؟»
ابتسم بيرت مدركاً ابعاد لعبتها وداعب شعرها الاسود، ثم قال:«انت تثيرين جنوني.»
ثم قال بجدية:
«أمامنا متسع من الوقت لنعمق علاقتنا، فنحن لم نتعرف الى بعضنا الا منذ أسابيع قليلة.
اعلم ان بعض مضيفات الطيران لا يحترمن سمو العلاقة بين الرجل والمرأة. ولربما كانت ظروف هذه المهنة المتحررة تملي عليهن ذلك. والامر لا يقتصر على المضيفات فلا بد انك تلاحظين كيف تحوم الفتيات حول الرجال من افراد طواقم الطائرات في الفنادق حيث ننزل، وقد يكون السبب في ذلك الاقبال على الطيارين، البزة الوقورة التي يرتدونها وخبرتهم المفترضة في المغازلة نتيجة تجوالهم في مختلف اصقاع العالم.
هنا سألت لين بقسوة:
«اتلمح الى انك لم تستغل الفرص المتاحة أمامك؟»
«لم اقل ذلك، فأنا رجل يحب الجمال كسائر الرجال. لكنني لم آخذ أياً من اولئك الفتيات على محمل الجدّ، كما اني لست مستعداً للخروج على القواعد من اجلهن.»

«القواعد؟»
« يا لغباء حبيبتي الصغيرة! القاعدة تقول ان لا تغرم أبداً بمضيفة خاصة وان ما من امرأة تستحق ان يفقد الرجل حريته من اجلها. غير ان هذه القاعدة تستبعد متى وقعت يداي على الفتاة المناسبة. فتاة تملك براءة فائقة في وجهها وحناناً دافقاً في عينيها، وتعجز كذلك عن اخفاء مشاعرها.»
تأملت لين ملامحه الوسيمة بدهشة كبيرة وسألت:
«أتعنيني بكلامك؟»
أجاب والابتسامة تعلو ثغره:
«بالطبع يا حلوتي.»
امسك وجهها الناعم بيديه القويتين وأضاف:
«علينا ان لا نستعجل الأمور حتى لا نفسد العلاقة الرائعة التي بدأنا ببنائها. والوقت، كما قلت، طويل أمامنا لنقطف من حلاوة الحياة.»
ازاحت يديه عن وجنتيها ووافقت قائلة:
«ليكن ما تريد مع العلم ان الامر لن يكون سهلاً اذا تابعت معاملتي بهذه الطريقة.»
لف بيرت خصرها بذراعه وعلق مازحاً:
«لا تنسي ان دورك في العملية لم يقل اهمية عن دوري!»
«لا ادري، لم اعد اذكر تفاصيل ما حدث...»
ضحك الشاب من جديد مستغلاً الفرصة:
«افهم من ذلك انه من واجبي انعاش ذاكرتك... لنعد

فوراً الى الفندق، اذ علينا النهوض باكراً في الغد لنستعد لرحلة العودة الى لندن.»

اسندت لين رأسها على كتفه تاركة له أمر قيادتها من الشاطىء عبر الحدائق الخضراء الى الفندق.

كان حوض السباحة مضاء يلهو فيه بعض هواة السباحة في الليل والمقهى الصغير المقام قربه على وشك الاقفال يوزع ما بقي لديه من مرطبات على آخر الزبائن. والرواد ليسوا، في اي حال، كثراً في هذا الوقت من السنة لأنها نهاية الموسم السياحي في ميامي عاصمة ولاية فلوريدا الاميركية. ولكن هذا لا يعني ان الطقس لم يعد حاراً فالحرارة تبلغ خمساً وعشرين درجة مئوية في الليل.

مشيا حول حوض السباحة حيث اصطفت الكراسي العريضة المخصصة لهواة التمدد تحت الشمس المحرقة لاكتساب السمرة. واكملا طريقهما الى حوض ثان حيث اقيمت شلالات صناعية توحي للسابح انه مرتم بين احضان الطبيعة. والى جانب الحوض متجر لبيعَ المصنوعات ومطعم متخصص بأطايب البحر المتنوعة. لكن الاثنين مقفلان في هذه الساعة تاركين الساحة لخرير الماء المنصب من الشلالات. اقترب الشابان من الفندق حيث انبعث صوت الموسيقى من النادي الذي يحتل الطابق الاول. بيد ان لين تكره اجواء هذه الامكنة المصطنعة والبعيدة عن الصدق والشاعرية اللذين غلفا ما دار بينها وبين بيرت منذ

قليل على ذلك الشاطىء الفسيح الساحر. لقد حصل كل شيء بسرعة فائقة لم تمكن لين من ادراك ما هية ما يربطها بهذا الشاب وما اذا كانت هذه العلاقة ستتوج بالسعادة، ام ان جل ما في الامر حلم جميل ووجودها مع بيرت على شاطىء ميامي ضرب من الخيال.

وعادت الذاكرة بلين الى الوراء لأشهر قليلة حيث واجهت صعوبة في تخفيف معارضة ذويها عندما فاتحتهم بموضوع تقديمها طلباً للتوظف في الشركة العالمية للملاحة الجوية. وخضعت لامتحان شفوي صعب وآخر خطي قبل ان تتلقى رسالة من الشركة تعلمها بالنجاح وتدعوها لبدء فترة تدريب في معهد خاص امضت فيه بضعة أسابيع مع شابات وشبان اختاروا المهنة نفسها. وهناك تعلمت الكثير، فوظيفة مضيفة الطيران هامة وصعبة تحتاج الى الجرأة والذكاء والصبر. بعد ذلك قامت بأولى رحلاتها على الخطوط القريبة من لندن والعواصم الاوروبية الاخرى، لكن قيام الشركة بفتح خطوط جديدة عبر المحيط الاطلسي الى الولايات المتحدة جعل لين تنقل الى خط لندن – ميامي. واعتبرت الفتاة نفسها محظوظة بذلك لأن جميع المضيفين والمضيفات يتمنون العمل على هذا الخط الذي يتيح لهم كل مرة تمضية يومين او ثلاثة في شمس ميامي الدافئة.

بيرت بدوره كان يعمل على الخط عينه وقد تعرفت

لين اليه عندما اصطحبتها المضيفة الاولى الى قسم الطيارين في مطار هيثرو وهو المطار الرئيسي في انكلترا. فقابلت الطيار ومهندس الطيران ومساعد الطيار الذي لم يكن سوى بيرت. صافحها بهدوء مبتسماً فلم تدر لين ما تقول وبقيت تنظر اليه مشدوهة لأنها لم تشاهد فتى بوسامته من قبل، وبخاصة ذلك التناقض الملفت بين سمرته الداكنة وزرقة عينيه. ولم تستطع الفتاة تدارك احمرار وجنتيها الامر الذي أثار دهشة بيرت فسارعت الى سحب يدها وحيّت الرجال الثلاثة من جديد ثم انسحبت تحت انظارهم الساخرة.

لم يكن ارتباك لين أمام بيرت غير ذي نفع اذ بادلها الاهتمام ودعاها بعد أيام قليلة الى الخروج للعشاء، فلم تكد تصدق حظها لأن فتيات الشركة كن يحمن حوله وهو متعجرف لا يمنحهن نظرة. وخشيت لين ان يشعر بيرت معها بالملل فيهملها، لكنه ظهر صبوراً ومتفهماً فاخذ يساعدها على التأقلم معه فارتاحت اليه تدريجياً حتى وجدت شخصيتها من جديد واستعادت ثقتها بنفسها. وعلى الرغم من انسجامها مع بيرت لم تدرك الفتاة سبب اهتمامه بها. فهي، وان كانت ممشوقة القوام جميلة العينين، ليست على ذلك القدر من الفتنة والروعة حتى توقع رجلاً وسيماً مثله. ولطالما تذمرت لين من انفها الرفيع والطويل نسبياً، غير ان بيرت كان يحب تمرير

اصبعه عليه ويؤكد لها دوماً انه يعطيها مسحة ارستقراطية.

مضى شهران على أول لقاء لها ببيرت. شهران تعتبرهما لين اجمل أيام حياتها على الاطلاق. فقد ايقظ الشاب في اعماقها جانباً كان مطموساً، وأثار فيها حب الحياة فاتحاً امامها درب السعادة والهناء. غريب كيف يغير الحب مسار عيش الانسان رأساً على عقب، فبعد ان كانت الحياة في نظر لين مشروعاً باهتاً فاشلاً ها هي الآن تسعد بكل لحظة تمضيها مع بيرت وتتشوق في كل لحظة تمضيها بدونه للقائه من جديد. ولم تأبه لين لملاحظات زميلاتها المضيفات اللواتي يدعونها للتروي والتعقل، بل انغمست في حب مساعد الطيار الذي أدار رأسها وسلب عقلها. أما بيرت فلم ينجر أكثر من ذلك مكتفياً بعناقها فقط.

قبل ان يدخلا الفندق تبادلا نظرة اخيرة. وفي المدخل الفسيح مشيا ببطء يتفرجان على واجهات المتاجر المتنوعة التي تسهل للنزلاء امر الحصول على مبتغاهم من ملابس واحذية وآلات تصوير والعاب... نظر بيرت الى محل الالعاب فتوقف فجأة وقال:

«انتظري هنا، سأعود سريعاً.»

إطاعت لين واخذت تحدق في الالعاب المتنوعة الحديثة التي تعمل كهربائياً والكترونياً، والتي تضفي بجمالها والوانها الزاهية جواً فرحاً على

www.elromancia.com

المكان. بعد قليل خرج بيرت حاملاً دباً ابيض كبيراً ذا اذنين سوداوين وعينين معبرتين. اعجبت لين كثيراً بالدب وضمته الى صدرها فقال بيرت ضاحكاً:

«جلبت لك هذه اللعبة حتى تضميها في سريرك بغياب الأصيل.» وبما ان الفتاة لا تخلو من الدهاء علقت:

«لربما وجدت مع دبي الوسيم ان لا حاجة لي الى غيره.» عندها نزع بيرت الدمية الكبيرة من يدها مهدداً:

«سأعيده اذاً من حيث أتى.»

«لا ارجوك! انت تعلم ان لا بديل عنك يا حبيبي.»

كانت هذه المرة الأولى التي تقول فيها «حبيبي».» لم يعلق بيرت على ذلك بل زادت نظراته حناناً وعذوبة، فأمسك بيدها واتجها الى المصعد. وعلى باب غرفتها طبع على جبينها قبلة ونبهها الى وجوب النهوض باكراً.

في اليوم التالي لم يلتقيا الا في مطار ميامي في القاعة المخصصة لافراد طواقم الطائرات. وابدى جميع الزملاء والزميلات اعجابهم بالدب الابيض الكبير الذي تأبطته لين دون ان ينسوا اطلاق التعليقات والنكات الساخرة. فقائد الطائرة نبهها الى وجوب دفع تعرفة شحن اللعبة الضخمة، والمضيفة الأولى ابدت تخوفاً من عدم قدرة الطائرة على حمل

الحيوان الثقيل. تقبلت لين هذه الدعابات بروح مرحة ونظرت الى بيرت الذي تقدم منها مبتسماً لكنه تعثر بقدم احدى المضيفات وخلال المعمعة سقطت حقيبة يد لين وتبعثرت اغراضها على الأرض فانهمك بيرت وبعض المتطوعين من الزملاء والزميلات باعادة كل شيء الى الحقيبة: لوازم الزينة، المحفظة، جواز السفر...

اخيراً نهض بيرت وناولها الحقيبة قائلاً بتعجب:

«لم ار في حياتي فتاة تحمل كل هذه الاغراض في حقيبة يد!» ولكنه ما لبث ان ابتسم جاعلاً قلب لين يخفق بشدة من الحب الممزوج بالمفاخرة والمباهاة بالحبيب الوسيم أمام الزميلات الحاسدات.

مرت رحلة العودة الى لندن من دون احداث تذكر، وكالعادة انهمكت لين وزميلاتها بتلبية طلبات المسافرين التي لا تنتهي. ولم يسعها اخذ قسط من الراحة الا حين عرض الفيلم السينمائي الذي استغرق ساعتين. اخيراً توقفت عجلات الطائرة عن الدوران ونزل الركاب، فعملت لين مع زميلاتها على تفتيش الطائرة للتأكد من ان احداً لم يترك فيها شيئاً. وبعدها توجه افراد الطاقم الى مبنى المطار للمرور على سلطات الجمرك في عملية تفتيشية روتينية. وكادت لين توقع حقيبتها من جديد وهي تحاول اخراج جواز سفرها منها ودميتها الكبيرة تحجب عنها الرؤية، فتبرع بيرت بالمساعدة قائلاً:

www.elromancia.com

«اعطني الحقيبة لأخرج جوازك.»

توقف قليلاً فيما تابعت لين سيرها في رواق المطار الطويل متجهة نحو مكتب الجمرك. وبعد ان وجد بيرت الجواز لحق بها وناولها اياه بينما هي تتثاءب من النعاس والتعب.

«لا شك انك تشتمين من أوهمك بأن السفر مهنة ممتعة.»

«انها مهنة ممتعة لك يا بيرت لأنك تسافر جالساً، بينما أنا أجوب الطائرة مئة مرة.»

بيد ان التعب كله يزول بهنيهة حب واحدة مع بيرت الذي يكنّ قلبها له عاطفة لا توصف.

وصل الجميع الى مكتب الجمرك حيث وجدوا ازدحاماً فعلق احد المضيفين:

«يبدو انهم يقومون باحدى غاراتهم التفتيشية، وهذا يعني انهم سيؤخروننا كثيراً ببحثهم الدقيق.»

ولكن ما العمل سوى الخضوع لأوامر السلطة التي لا رجوع عنها وبخاصة في القضايا المتعلقة بادخال الممنوعات الى البلاد. اما لين فكانت هذه المرة الاولى التي تخضع فيها لمثل هذا التدبير، فسلمت حقيبتها ودخلت مع احدى مأمورات الجمرك الى غرفة جانبية للتفتيش. وسرت الفتاة كثيراً لما انتهى هذا التفتيش المزعج فارتدت سترتها لتوافي بيرت وتتفق معه على برنامج السهرة، لكنها ابقيت في الغرفة فترة طويلة قبل ان تعود المأمورة

ومعها احد الضباط الذي حمل جواز سفرها وقال:

«انت الآنسة لينيت ماكسويل؟»

«نعم.»

«هلا رافقتني يا آنسة الى مكتبي لبضع لحظات؟»

نهضت الفتاة الحائرة من مقعدها يمسك بذراعيها المأمورة والضابط واصطحباها الى مكتب واسع في وسطه طاولة سوداء كبيرة. وعلى هذه الطاولة شاهدت محتويات حقيبة يدها مبعثرة ورجال الجمرك يفتشونها بدقة... حتى احمر الشفاه ومعجون الاسنان لم يسلما من شكوكهم. ولم يسع لين ان تقول شيئاً لأنها لم تفهم شيئاً، لكنها صعقت امام المشهد التالي. فقد تناول احدهم دبها الكبير واخرج من جيبه سكيناً. عندها صاحت الفتاة بشدة محاولة الاندفاع نحوه لايقافه فاشتدت القبضتان على ذراعيها. ولم يعد لديها سوى التوسل:

«ارجوك لا تفعل ذلك!»

لم يجد ذلك نفعاً اذ تابع الرجل عمله فبقر بطن الدب ممزقاً الفرو من اعلى الى اسفل باحثاً في داخله عما تجهله لين تماماً.

التفتت الفتاة غاضبة الى الضابط الممسك بذراعها وصرخت:

«كيف تجروء على ذلك؟»

اجابها الرجل بثقة:

«تأكدي يا آنسة اننا نملك صلاحية تفتيش أي شيء

يدخل الى هذه البلاد اذا كان هناك ما يدعو الى ذلك.»

«لا شيء يدعو الى تمزيق دميتي فهي هدية تلقيتها البارحة.»

اشار الرجل بيده الى الاغراض الموضوعة على الطاولة سائلاً:

«اهذه حقيبتك يا آنسة ماكسويل؟»

«نعم.»

«وهذه الاغراض؟»

حدقت لين في الوجوه الجدية القاتمة المحيطة بها وأجابت:

«اذا كانت الاغراض خرجت من حقيبتي فهي لي. لكن هل استطيع ان افهم لماذا فعلتم ذلك؟»

تقدم الضابط من الطاولة وبملقط صغير التقط علبة مسحوق بودرة افرغ محتواها في علبة ثانية بيضاء، ثم سأل:

«اهذه لك؟»

«نعم اظن ذلك.» امعنت لين النظر في العلبة واستدركت:

« لا، يبدو انها ليست علبتي فالتي اشتريتها من ميامي من نوع آخر على ما اعتقد.»

زادت الفتاة حيرة وارتباكاً فحاولت الاستفهام:

«اتسمح يا سيدي بأن تفهمني ماذا يحصل؟»

وضع الضابط العلبة مكانها وقال ببرود:

«لقد وجدنا في علبتك هذه كمية من الممنوعات، لذا يغدو من واجبي الآن تسليمك الى الشرطة التي ستوجه اليك تهمة تهريب المخدرات وادخالها الى البلاد.»

وعلى الفور شحب وجه لين من هول الصدمة والخوف فصاحت:

«لا! لا! لم أفعل شيئاً من هذا!.»

وزادها الضابط بتهكمه خوفاً وسخطاً، اذ قال:

«لا حاجة للخوف ما دمت بريئة يا آنسة ماكسويل. فالحقيقة ستنجلي بعد ان تقنعي رجال الشرطة بأن علبة بودرة تحتوي على كمية من الهيروين الصافي دخلت حقيبتك من دون علمك.»

احست لين انها ستنهار لا محالة، فجلست على كرسيها صامتة تحدق بعينين غائبتين في الرجال يفتشون بقية الاغراض علهم يجدون مواد جرمية اخرى.

مكثت سجينة الغرفة مدة طويلة حتى وصل اخيراً مفتش من الشرطة وابلغها انه سيوقفها ويصطحبها الى المخفر. وخلال كل هذا الوقت كانت الفتاة شبه ضائعة كأنها فقدت حواسها وادراكها، حتى انها لم تسمع بوضوح ما قاله مفتش الشرطة بل تسمرت عيناها على بقايا دميتها المطروحة قرب قدمي ضابط الجمرك.

نهضت لين لترافق مفتش الشرطة الى المخفر محاطة

www.elromancia.com

بشرطيتين، ومروا عبر البهو الكبير حيث مكاتب مختلف شركات الطيران. وكانت قد وصلت للتو طائرة للخطوط الجوية السويسرية فمر ركابها وطاقمها على الجمرك من دون ان يخضعوا لأي تفتيش. واخذ الركاب ينظرون بفضول الى لين التي اشاحت نظراتها ارتباكاً وخجلاً. وفجأة لمحت بيرت المتكىء الى جدار، السيكارة في فمه والقلق على وجهه. ولما رآها ورأى من يصطحبها ادرك ما حدث. ولم تتمالك الفتاة نفسها فافلتت من المرأتين وارتمت في احضانه مرتجفة. وعلى الفور اسرع المفتش ليمسك بها لكن بيرت لم يدعها تفلت من يديه. انفجرت لين عندها باكية:

«زعموا اني نقلت ممنوعات في حقيبتي! قل لهم يا بيرت اني بريئة.»

وهنا تدخل المفتش بحدة:

«دعها يا سيد! الآنسة ماكسويل قيد التوقيف.»

لم يذعن بيرت لأمره بل أحكم ذراعيه حول فتاته التي شعرت بشيء من الارتياح لوجود شخص قوي الى جانبها، شخص يحميها ويشد من ازرها في هذه المحنة الرهيبة.

أخيراً وجد بيرت شيئاً يقوله:

«سأرافق الآنسة الى حيث تأخذونها.»

تفحصه المفتش بنظراته القاسية سائلاً إياه:

«ومن تكون بالنسبة اليها؟»

«ادعى البيرت داين واعمل في الطائرة التي تسافر فيها الآنسة ماكسويل.»

فكر المفتش قليلاً ثم قال:

«حسناً نحن ذاهبون الى مخفر الشرطة، فأهلاً بك اذا احببت المجيء.»

ركب الجميع سيارة الشرطة وسمح للين بالجلوس في المقعد الخلفي الى جانب بيرت. وطوقها حبيبها بذراعه في حين انهمك بالاخرى بمسح الدموع المنهمرة على وجنتيها. حاولت الفتاة ان تبتسم ولكنها لم تقو على ذلك فاغرقت وجهها في صدره، فقبل رأسها واخذ يداعب شعرها بحنان. وشعرت لين انها ما تزال جالسة على شاطىء ميامي يتبادلا الكلام الحلو والعناق البريء... ولكن يا للأسف فها قد وصلت السيارة الى مركز الشرطة حيث خضعت لين لتحقيق جديد بمعزل عن بيرت الذي جلس يعاني قسوة الانتظار والقلق. وجه المحقق الى الفتاة التهمة بصورة رسمية، وتم اخذ بصماتها، ثم انهال عليها سيل من الاسئلة: من زودها بالعلبة؟ لمن كانت ستسلمها؟ كم من المال نالت لقاء ذلك؟ اسئلة، اسئلة لا تنتهي ولين تكرر أقوالها السابقة بأنها لا تعرف من دسّ علبة مسحوق البودرة في حقيبتها وانِ لا علاقة لها من قريب او بعيد بهذا الامر. اخيراً تم تدوين افادتها وسمح لها برؤية بيرت الذي ضمها اليه وقال مطمئناً:

www.elromancia.com

«لا تقلقي يا عزيزتي. فأنا وانت نعلم انك بريئة. سأوكل محامياً بارعاً يدافع عنك ويخرجك من هذا المأزق بسرعة البرق. ولا بد ان تظهر الحقيقة ويلقى القبض على الفاعل الحقيقي.»

«اتعتقد ان احداً ما دسّ العلبة في حقيبتي ليوقعني في هذه الورطة؟»

هز بيرت رأسه نافياً:

«لا اعتقد انك كنت المقصودة، بل اعتقد ان رجال الجمرك تلقوا معلومات ما عن عملية تهريب فاخضعوا الجميع لهذا التفتيش الدقيق. ولا بدّ ان الفاعل شعر بالخطر فتخلص من العلبة بوضعها في حقيبتك.»

«وشاء حظي التعيس ان اكون الضحية.»

ابتسم بيرت وداعب وجنتها محاولاً التخفيف عنها، ثم قال:

«لربما وقع اختيار المجرم عليك لأن وجهك هو الاكثر براءة.»

خطرت للفتاة فكرة هامة:

«ولكن كيف كان ينوي المهرب استرداد العلبة من حقيبتي بعد مروري على الجمرك؟»

هز بيرت كتفيه مجيباً:

«باختلاق عذر وبخاصة اذا كان المعني فتاة، كأن تقول انها اخطأت ووضعت علبتها في حقيبتك في فندق ميامي.»

«اتعتقد ان الفاعل فتاة؟»

«من يعلم يا لين! فأي انسان قد يقع في التجربة ويرتكب اعمالاً حمقاء سعياً وراء المال. وأنا لا استبعد ان يكون الفاعل احد الركاب لان الجميع كان عرضة للتفتيش.»

عندها نظرت لين الى البعيد بيأس وتساءلت:

«كيف لنا إذاً اكتشاف الفاعل الحقيقي؟»

امسك الشاب بكتفيها وطمأنها:

«ما دامت العلبة لا تخصك فبصماتك لن تكون عليها بل بصمات المجرم وهذه العملية ستثبت براءتك.»

ولأول مرة منذ حصول الحادثة احست لين بارتياح حقيقي واستطاعت الابتسام اذ رأت بارقة أمل تلوح في ظلام هذا النفق الرهيب، فصاحت:

«آه! ارجو ان يكون كلامك صحيحاً!»

وهنا استدرك بيرت بواقعية:

«لا تتوقعي المستحيل فالأمر سيتطلب بعض الوقت. ولا شك ان المجرم سيحاول الابتعاد عن مسرح الجريمة قدر المستطاع، والطريقة الفضلى لذلك السفر الى خارج البلاد.»

وما ان رأى بيرت الخوف يعود الى عينيها حتى أضاف:

«اجزم لك يا لين اننا سنصل الى الحقيقة مهما طال الوقت. أتثقين بما أقول ام لا؟»

من عينيه الواثقتين استمدت كل الشجاعة التي

www.elromancia.com

تحتاج واكدت:«اثق بكلامك ما دمت الى جانبي.»
داعب خدها بيده وقال:
«اني اضع هذه العضلات بتصرفك لنقاتل معاً يا آنستي.»
«هل سأبقى كثيراً هنا؟ فأنا اخاف هذا المكان يا بيرت.»
«ستبقين الوقت اللازم حتى اوكل المحامي ونؤمن دفع مبلغ الكفالة، فهم لن يمنحوك اخلاء سبيل الا مقابل كفالة مالية. والآن عليك اعطائي عنوان ذويك لاتصل بهم واطلعهم على ما حصل، اذ لا يجوز اخفاء الأمر عنهم.»
كتبت لين عنوان منزلها على ورقة صغيرة وسمعت بيرت يقول بهدوء:«ادرك انك تملكين الشجاعة الكافية لتمضية الليلة هنا، وغداً تمثلين أمام قاضي التحقيق الذي سيعين الكفالة المطلوبة لاطلاقك.»
اغرورقت عيناها بالدموع شاكية:
«لا! لا استطيع البقاء في زنزانة كالمجرمين!»
امسك بيرت بيدها مشجعاً:
«اين فتاتي المقدامة الجسورة؟ الا تستطيعين الصبر ليلة واحدة؟»
داعب وجهها بيده القوية مجدداً وقبلها باندفاع وشوق فاحست ببساط الحب يحملها على رياح الاحلام بعيداً عن الواقع القاتم الذي اوقعها فيه حظ عاثر.

«سأذهب الآن لاتدبر محامياً وأعود بأسرع ما يمكن.»
بذلت لين قصارى جهدها لتجد شيئاً من البسالة والقدرة على مواجهة الموقف، فقالت:«حسناً، أنا بانتظارك.»
ظهرت على فم بيرت ابتسامة عريضة وشدها اليه بعنف:«انت فتاتي، ولن اسمح بحصول اي شيء يؤذيك.»
بعد ذلك خرج من الغرفة تاركاً لين وحدها حتى جاء شرطي واصطحبها الى زنزانة، حيث سمعت صليل المفتاح الثقيل يدور في القفل وراءها.
لم تمس الفتاة شيئاً من الطعام الذي احضر لها بل اخذت تجوب الغرفة طولاً وعرضاً حتى جاء بيرت بعد ساعتين وبرفقته احد المحامين. واعادت الفتاة المتهمة زوراً وبهتاناً سرد قصتها على المحامي من دون ان تستطيع اضافة شيء الى ما اخبرته لرجال الشرطة. وافهمها رجل القانون انه لا يستطيع اخراجها من السجن الآن، بل عليها الانتظار حتى الغد عندما تمثل أمام قاضي التحقيق الذي يعين الكفالة.
تقبلت لين ذلك لأن البكاء والصراخ لا يجديان نفعاً مع حكم القانون الذي لا يلتفت بصرامته الى رقة المشاعر الانسانية، وهو في ذلك على حق لانه لا يستطيع الاحاطة بكل متطلبات الافراد التي لا

www.elromancia.com

تحصى والتي لا تستطيع قاعدة قانونية ارضاءها جميعها مهما بدت كاملة.

بعد ذلك شرح بيرت للمحامي وجهة نظره في ما يتعلق بالبصمات على العلبة، وسأل هذا الاخير موكلته عما اذا كانت تشك بأحد فأجابت نافية:

«لا اشك بأحد معين اذ لم ار احداً في وضع يمكن اعتباره مشبوهاً.»

نظر المحامي اليها بشيء من التعاطف وقال:«لا شك في انك تحت تأثير الصدمة الآن يا آنسة ماكسويل. ومع ذلك اريدك ان تفكري الليلة بهدوء وتعيدي في ذهنك شريط احداث هذه الرحلة، فلعلك تجدين ما يفيدنا.»

وقف المحامي مودعاً فنهضت لين بدورها وقالت:

«شكراً على مجيئك.»

«هذا واجبي يا آنسة.»

في هذه اللحظة دخل مفتش الشرطة الذي اصطحب لين من المطار الى المخفر وقال بسخرية:

«ظننت انكم تودون الاطلاع على نتائج اختبار رفع البصمات الذي اجراه رجال الادلة الجنائية على العلبة. يبدو ان بصمات الآنسة ماكسويل مطابقة لبعض البصمات الموجودة عليها، وهذا يعني انها امسكت حتماً بالعلبة قبل مرورها على رجال الجمرك.»

لم تصدق لين ما سمعته اذنيها واخذت تحدق ببيرت

المصعوق بدوره قبل ان تحس بدوار شديد وتسقط على الارض مغمياً عليها.

امضت الفتاة المظلومة اسوأ ليلة في حياتها ممددة على ذلك السرير الضيق في الزنزانة الموحشة، حيث يتسرب نور خفيف يسمح للحارس بالرؤية عندما يجيء كل ساعة لتفقد الموقوفين. وحاولت لين جاهدة ان تعمل بنصيحة محاميها واعادة احياء صور ما حصل، غير ان واقع الحاضر المؤلم ابعد عن ذهنها ما حصل وشوش افكارها مانعاً اياها من التذكر بدقة. ولم تجد بعد فشلها سوى اغراق وجهها في الوسادة والبكاء بصمت لئلا يسمعها احد.

في الصباح وصل والدها ووقع المأساة بادٍ على وجهه واخذ يوجه الأوامر الى مفتش الشرطة مهدداً اياه بأوخم العواقب اذا لم يوضح له ما حصل. وهذا ليس مستغرباً من والد لين لأنه ضابط سابق في الجيش ومعتاد على التحدث بهذه النبرة حتى مع افراد عائلته. لكن رجال الشرطة يعرفون كيف يعالجون مثل هذه المواقف فاقنعوه بالذهاب الى المحكمة حيث سبقه بيرت والمحامي.

لم يطل الاستجواب امام قاضي التحقيق اكثر من بضع دقائق، طلب بعدها المحامي اخلاء سبيل موكلته لقاء كفالة فوافق القاضي على طلبه لأن سجل لين نظيف. وخرجت لين على الفور من المحكمة ممسكة بذراع بيرت لتتمتع بنور الشمس من جديد.

www.elromancia.com

غير ان اخلاء السبيل لا يعني الحرية التامة فالمتهم لا يستطيع مغادرة البلاد وتظل تحركاته خاضعة لمراقبة الشرطة. كما ان الشركة علقت عقد الاستخدام القائم بينها وبين لين بانتظار ظهور نتائج التحقيق. فأضحت الفتاة بلا عمل يشغلها عن التفكير بمشكلتها، وما زاد المشكلة هو نشر الخبر في الصحف وتوتر الوضع العائلي بين لين وأمها التي اضطرت الى اللجوء الى طبيب ليعطيها مسكنات تساعدها على مواجهة الأزمة. واقترح الوالد ذهاب الابنة للمكوث عند عمتها ماري في يوركشاير الأمر الذي يعني ابتعادها عن لندن وعن بيرت. وهذا الاخير لم يستطع اقناع الشركة بنقله من خط ميامي الى الخطوط الاوروبية ليتمكن من البقاء الى جانب فتاته أكثر. كما ان المسؤولين في العمل اظهروا له عدم رضاهم عن علاقته بلين التي لوثت برأيهم سمعة المؤسسة ومرغت اسمها في الوحل. بيرت لم يأبه بالطبع لهذه الآراء الجائرة بل عمل ما في وسعه لاخراج لين من ورطتها، فطلب من رجال الشرطة أخذ بصمات جميع الذين كانوا على الطائرة لكن طلبه رفض، لأن لين ضبطت برأيهم بالجرم المشهود والأدلة بحقها كافية فلا حاجة للتوسع في التحقيق. فلم يعد بوسع بيرت سوى دعم لين معنوياً وتشجيعها بعد ان اقفلت في وجهه كل السبل.

اقترب موعد المحاكمة فتوجهت الفتاة الى لندن

لمقابلة محام جديد نصحها به المحامي الأول، ذلك ان المحامين في انكلترا فئتان: فئة تستطيع الادعاء أمام المحاكم الدنيا وفئة امام المحاكم العليا. لذا اضطرت المتهمة الى اعادة اخبار المحامي الثاني بكل التفاصيل بخاصة وان الرجل شدد على معرفة كل ما حدث حتى ما قد يبدو للوهلة الاولى تافهاً.

جلست لين في مكتبه تجيب على الاسئلة:

«اين وضعت حقيبتك يا آنسة عندما صعدت الى الطائرة؟»

«هناك فسحة في الطائرة مخصصة لحقائب افراد الطاقم.»

«افهم من ذلك ان أياً من زملائك كان يستطيع دس العلبة في حقيبتك اثناء الرحلة؟»

اجابت لين:

«بالطبع. ولكن لماذا يقدم المهرب على ذلك خلال الرحلة ما دام لا يعلم بأنه سيتعرض لتفتيش دقيق؟ فنحن لم نشعر بشيء غير اعتيادي الا عند وصولنا الى داخل مطار لندن.»

«هذا صحيح. حاولي ان تتذكري ما حدث تماماً عند هبوط الطائرة، هل غادر جميع افراد الطاقم الطائرة معاً؟»

«نعم فقد قطعنا المسافة بين المدرج والمبنى مشياً في مجموعة واحدة.»

«الى جانب من كنت تسيرين يا آنستي؟»

«الى جانب بيرت داين.»

«لا احد غيره؟»

فكرت لين قليلاً ثم اجابت:

نزلت سلم الطائرة مع زميلتين وكان بيرت بانتظاري في اسفله فتركت زميلتي وسرت واياه.»

«اكانت حقيبتك معك طوال ذلك الوقت؟»

«نعم.»

«اكنت تحملين شيئاً آخر؟»

«نعم.»

«كنت احمل دمية كبيرة احضرتها من ميامي.»

«أتصور ان حقيبتك تعلق بالكتف، أليس كذلك يا آنسة؟ فهل كان باستطاعة احد ان يدس فيها العلبة خلال سيرك من الطائرة الى مبنى المطار لانشغالك بحمل الدمية الكبيرة؟»

صمتت لين قليلاً تفكر وأجابت:

«لا أعتقد، لأنها كانت مقفلة ولم افتحها الا عندما...»

تجمد الدم في عروقها اذ عاودتها ذكرى ما حصل ولم تكمل الكلام فسأل المحامي بالحاح:

«يبدو انك تذكرت شيئاً مهماً، فما هو؟»

لم تنبس الفتاة بكلمة بل اخذت تستعرض الصور في مخيلتها بهلع، وتذكرت كيف حاولت اخراج جواز السفر من الحقيبة ولم تفلح فعرض عليها بيرت المساعدة. وتخلف عنها للحظات بعد ان اخذ منها

الحقيبة قبل ان يلحق بها ويناولها الجواز ثم يعيد تعليق الحقيبة في كتفها... الامر واضح للغاية: بيرت هو من وضع العلبة في الحقيبة، اذ لا احد غيره كان يملك الفرصة لفعل ذلك!

www.elromancia.com

الفصل الثاني

سرعان ما استبعدت لين هذه الفكرة وقالت لمحاميها:

«لا، لا أهمية لذلك.»

لم يقنع وجهها الشاحب فضول رجل القانون الخبير، فأصر على السؤال:

«أواثقة انت مما تقولين يا آنسة ماكسويل؟ لا تنسي انك متهمة بجريمة كبيرة تتشدد السلطة في معاقبتها نظراً لانعكاساتها الخطيرة على الصعيدين الفردي والاجتماعي. ولا أخفي عليك سراً اذا قلت انك ستدخلين السجن لمدة طويلة اذا وجدتك المحكمة مذنبة. لذا عليك مصارحتي واطلاعي على اي شيء قد يساعدني لاثبات براءتك. اتعنين ما أقول؟»

صمتت لين لبرهة طويلة وظلت تحدق في الفراغ قبل ان تجيب هامسة:

«فهمت.»

«هناك شيء تخفينه عني اذاً؟»

رفعت لين رأسها وأجابت بثبات:

«لا شيء اخفيه عنك.»

«حسناً.»

وأخذ الرجل يشرح لها ما ستواجهه خلال المحاكمة

وما عليها ان تقول، وهي شاردة الذهن تكاد لا تسمعه، فالشكوك تمزقها وتشعل في نفسها صراعاً مستعراً بين نداء القلب وحكم العقل.

بعد مقابلة المحامي عادت الى فندقها حيث تمددت على سرير الغرفة تحدق في السقف الرمادي الذي يماثل لون أيامها. أول ما بدر الى ذهنها كان رفض فكرة قيام بيرت بوضع العلبة في الحقيبة، لأن هذا يعني انه لم يشعر تجاهها بالحب قط بل اراد استغلال هذه العلاقة الزائفة لتحقيق مآربه. واخذت تتذكر كيف كان ينتظرها عند نهاية كل رحلة ليمرا على رجال الجمرك سوياً، وهي كانت تسر بذلك وتعتبره نوعاً من التكريم والاحترام. ولكن الوقت الآن ليس وقت الانصراف الى الذكريات الحلوة، بل عليها التركيز للوصول الى الحقيقة.

وضعت يدها على جبينها واعملت فكرها جيداً. هل سنحت الفرصة في ذلك اليوم المشؤوم لأحد غير بيرت لمس الحقيبة بعد هبوط الطائرة؟ تنهدت يائسة لأن الجواب ليس مرضياً ولا يبعد الشك عن مساعد الطيار الذي وقعت في غرامه منذ النظرة الاولى.

وفجأة جلست في السرير فرحة اذ خطرت لها فكرة جديدة: اذا كان بيرت هو الذي دس العلبة قبل التفتيش مباشرة لا يمكن ان تكون لين قد مست العلبة وتركت بصماتها عليها، مما يعني ان العلبة وضعت قبل ذلك ولكن هذا الاحتمال انهار فجأة اذ

تذكرت الفتاة انها لما حاولت اعادة جواز السفر الى الحقيبة بعد حاجز الجمرك وقبل التفتيش الجسدي اضطرت الى ازاحة شيء بيدها... شيء ذو شكل دائري كالعلبة المعنية تماماً، فدفنت وجهها في الوسادة واخذت تبكي بمرارة كما لم تفعل من قبل.

كيف لها ان تسلم بأن بيرت هو الفاعل وحبها له يكاد يقترب من جنون عاشقي الأساطير؟ ايعقل ان يقوم اعز شخص على قلبها بهذه التمثيلية ويخدعها بهذا الشكل المضحك المبكي؟ قبعت الفتاة في غرفة الفندق وحيدة ساعات وساعات تفكر في حل للعقدة ولم تجد سوى مواجهة بيرت بالأمر لأن الكتمان لا يجدي. والرجل الآن في ميامي ولن يعود قبل يومين. ففكرت بمكالمته لكنها عدلت عن ذلك لأنها تريد ان ترى وجهه ورد فعله عند مفاتحته بالموضوع.

وهكذا امضت لين أطول واقسى يومين في حياتها تحترق بنار الحيرة والقلق تجوب شوارع لندن على غير هدى، تتفرج على واجهات المحلات، تزور المتاحف والمعارض الفنية... تنسى احياناً ان تأكل حتى اخذ الوهن منها كل مأخذ فغارت عيناها وفقد محياها قسطاً كبيراً من حيويته وتوهج شبابه.

وأخيراً حل يوم موعد عودة بيرت، فذهبت لين الى المطار لاستقباله. وهناك أعلن عن تأخير في موعد وصول الطائرة، فأمضت لين الساعة الاضافية تمشي في قاعة الاستقبال وتتفرج على وجوه الناس. بعد

ذلك شاهدت رأسه يعلو رؤوس سائر افراد الطاقم، ويتلفت يميناً ويساراً باحثاً عنها حتى لمحها فابتسم بحرارة. خفق قلب لين لهذه الابتسامة التي ردتها الى العالم البديع الذي كانت تعيشه الى ان انهار بسبب شر احدهم وطمعه بالمال... وهذا الشخص قد يكون بيرت نفسه! اقتربت منه واعصابها مشدودة فأيقن ان شيئاً ما يشغل بالها وسألها على الفور:

«ما الأمر؟»

لم تستطع لين ان تنظر الى وجهه فأطرقت وقالت:

«اريد ان اتحدث اليك في مكان هادىء.»

«لنذهب الى بيتي اذن.»

«لا بل الى الفندق.»

«كما تريدين.»

امسك بذراعها وتوجها الى موقف سيارات العاملين في المطار حيث استقلا سيارة بيرت الايطالية السريعة. وخلال الطريق ظلا صامتين، لين لانها تحضر ما ستقوله لاحقاً وبيرت لانه لا يريد زيادة اضطرابها وقلقها.

في غرفة الفندق وقفت لين قرب النافذة تستجمع قواها وشجاعتها لتبدأ الحديث. وبعد وقت طويل التفتت اليه لتجده يحدق فيها باستغراب.

«اجد نفسي مرغمة على استيضاحك بعض المسائل يا بيرت.»

«وانا كذلك لديّ سؤال هام.»

فوجئت الفتاة بنبرته الجازمة فسكتت بانتظار ما سيقول. اقترب منها واضعاً يديه على كتفيها رامقاً اياها بنظرات حادة، وأخيراً سألها:

«هل اشتقت الي؟»

«بالطبع.»

«ما رأيك اذاً بترحيب خاص؟»

اسقط يديه وضمها اليه فشلت حركتها كمن تعرض لتنويم مغناطيسي. شاءت المقاومة لكنها لم تستطع.

وفجأة عاودتها ذكريات ميامي ولحظاتها الحلوة فاجتاحتها عاطفة.

«انت تفعلين ذلك عمداً.»

«افعل ماذا؟»

«تنقضين اتفاقنا على الانتظار باثارة جنوني.»

حزنت عينا لين وسألته بأسى:

«اتنتظر حتى خروجي من السجن؟»

ثارت اعصابه فأمرها بقسوة:

«لا تكرري مثل هذا الكلام بعد الآن، انت لن تدخلي السجن!»

وبعد تردد وجهت اليه سؤالا طالما قضى مضجعها:

«هل تحبني؟»

رأت الفتاة الحنان يجتاح عينيه اذ اجاب مبتسماً:

«كفي عن ذكر هذه الكلمة.»

«ارجوك، اجب على سؤالي.»

قال بيرت بحدة:«أنا مستعد لفعل اي شيء يبعد عنك هذه التعاسة.»

لملمت لين ما بقي لديها من شجاعة وحزم وأضافت:

«لماذا وضعت العلبة في حقيبتي اذاً ما دمت عالماً بأنهم سيلقون القبض علي؟»

بدا بيرت لأول وهلة كأنه لم يستوعب شيئاً مما قالته. فهز رأسه مندهشاً وتمتم:

«ماذا قلت؟»

«اظن انك سمعتني بوضوح.»

نظر اليها بذهول وقال:

«لا اصدق ما سمعته اذناي. الى ماذا ترمين؟»

أجابت الفتاة متنهدة:

«لقد تذكرت كل شيء فلا حاجة للانكار.»

«انكار ماذا؟»

جلست لين فجلس امامها والتقت نظراتهما لبرهة قبل ان تبدأ لين بالكلام.

«اذكر الآن تماماً كيف مشينا معاً من الطائرة الى مبنى المطار، وكيف كنت احمل الدب الذي اهديتني اياه فلم استطع العثور على جواز سفري في الحقيبة. وعندها تطوعت لتجد الجواز فتخلفت لبضع لحظات تبحث عنه حتى لحقت بي وناولتني اياه بعد ان اعدت تعليق الحقيبة في كتفي.»

واضافت لين بما يشبه الهذيان:« انت الوحيد الذي

www.elromancia.com

كان يستطيع دس العلبة في حقيبتي بعد هبوط الطائرة.»

امسك بيرت بيدها وأكد:

«صحيح اني اخذت الحقيبة منك ولكن كيف تشكين اني واضع العلبة فيها؟ أيعقل ان أفعل ذلك واوقعك في هذه الورطة؟» احكم قبضته على يدها وعيناه الزرقاوان تقدحان شرراً، ثم تابع:

«ألم اعترف لك منذ لحظات بالحب. انت الفتاة الوحيدة التي سمعت مني هذه الكلمة! فكيف استطيع تسبيب الألم والعذاب للفتاة التي ملكت قلبي؟ كيف يمكنني ان أكون جلادها؟»

تسمرت عينا لين في عينيه وهي بين اقدام واحجام. تريد تصديقه ومنحه ثقتها الكاملة، في حين يناديها صوت العقل ويحذرها من الانزلاق وراء العواطف. وبعناد اعادت ما قالته سابقاً:

«درست الاحتمالات كافة ولم اجد سواك ...» وضعت رأسها بين يديها واردفت:

«اود ان اعرف ما اذا كان الأمر بيننا مجرد لعبة اوقعتني فيها ليتسنى لك تهريب ...»

لم يسع بيرت سماع المزيد فهب واقفاً وارغمها على الوقوف والسخط ينضح من نظراته، وصاح في وجهها:

«كفى! قلت لك ان لا علاقة لي بالامر! اقسم لك انها الحقيقة.»

خشيت الفتاة النظر الى وجهه لئلا تضعف عزيمتها ويغلب عليها صوت قلبها الدامي. فحررت يديها وقالت ببرود:«لا اصدقك.»

سألها بغضب:

«الا تثقين بي؟ الا تأبهين بمشاعري حتى ولو كنت كاذباً بنظرك؟»

«انت مخطىء تماماً، فمشاعرك تهمني كثيراً لأني احبك حباً عميقاً يجعلني اقدم على المستحيل من اجلك... يجعلني انسى اي اساءة... حبذا لو جئتني شارحاً الوضع قبل ان تدس العلبة في الحقيبة، لكنت تفهمتك وقدرت دوافعك وظللت وفية لحبي. اما ان تفعل ذلك خلسة وتزعم انك بريء، ثم تمعن في التمثيل متظاهراً البحث عن الفاعل الآثم... فهذه طعنة في الصميم لا يسعني تحملها او نسيانها.

ازاء ذلك قال بيرت والأسى يعصر قلبه:

«لم اقل لك سوى الحقيقة يا لين واثبات ذلك ليس بالأمر العسير. فلو كنت من وضع العلبة في حقيبتك لتركت بصماتي عليها، هيا بنا الى مخفر الشرطة للتثبت من ذلك.»

لم يلق هذا الاقتراح صدى طيباً لدى لين فهزت رأسها قائلة:

«اتعتقد ان الفكرة لم تخطر لي؟ لكن اقتراحك غير مجد لأن اي جاهل يستطيع الامساك بالعلبة بمنديل حتى لا يترك عليها بصماته.»

www.liilas.com

«لا شيء يستطيع اقناعك ببراءتي اذاً؟»

لا تعلم لين من اين جاءتها هذه الموجة العارمة من الغضب فصرخت بأعلى صوتها:

«لماذا لا تستسلم وتخبرني بالحقيقة كاملة؟ لماذا تصر على الانكار...»

لم يقل بيرت عنها سخطاً فأمسك بها مرغماً اياها على النظر اليه ومقاطعاً:

«بدأت اشك في انك تقومين بالتمثيل بدورك.»

«ماذا تعني؟»

«كوننا الوحيدين اللذين لمسا الحقيبة بعد ان حطت الطائرة، وكوني اعلم اني لم اضع العلبة فيها، يؤدي بي المنطق الى الاشتباه بك.»

كادت لين تصاب بالجنون فصاحت:

«لم افهم!»

«يخيل اليّ ان كل التهم التي تحاولين الصاقها بي يجب ان ترتد عليك. لا بد انك تحاولين اخفاء شيء اقترفته يداك. بدأت اشعر اني كنت ضحية خدعة محكمة، لقد خدعتني وخدعت الجميع بوجهك البريء وعفويتك الطاغية. ابتسامة واحدة منك كانت تكفي ليدعك رجال الجمرك تمرين من دون تفتيش. وبالفعل فأنت لم تتعرضي للتفتيش ابداً قبل تلقيهم هذه المعلومات. لماذا فعلت ذلك يا لين؟ من اجل المال ام من اجل تأمين حاجتك منه؟ ولم لا، فقد تكونين مدمنة. هاتي ذراعك لأرى الآثار.»

وبقوة امسك بذراعها وبدأ يرفع كم فستانها فاعترضت بصوت عال:

«دعني وشأني!»

قاومته بعنف حتى سقطت على السرير لكنه تمكن من رفع كميها وتفحص ذراعيها فوجدهما خاليتين من اي اثر، فقال:

«بما انك غير مدمنة فهذا يعني قيامك بالتهريب طمعاً بالمال!»

قفزت الفتاة من السرير وصفعته بقوة على وجهه وهي تصرخ:

«ايها القذر الحقير.»

ظل بيرت جامداً كالصخر بالرغم من قوة الصفعة وعيناه متجمدتان كالجليد، الامر الذي جعل لين في حيرة من امرها فانفجرت:

«انت مجنون اذا كنت تظنني سأدخل السجن من اجلك! لقد استغليتني كفاية حتى الآن! اوقعتني في الفخ منذ البداية حتى تستغلني.»

اخفضت صوتها قليلاً وتابعت:

«كان قلبي يدعوني الى التضحية من اجلك، اما الآن وقد كشفت عن انيابك فلن ادعك تنال مني وتفلت من العقاب.»

ضحكت بفتور قبل ان تضيف:

«كم كنت عمياء! كم كنت ساذجة عندما وقعت في غرامك المدبر هذا، وهو جزء من خطتك للتهريب! لا

بدّ انك ضحكت كثيراً لحماقتي ولسهولة انقيادي.»
لم تستطع الفتاة قول المزيد فأشاحت بنظراتها واخذت ترتجف كالورقة في مهب الريح.
وبعد صمت ثقيل سألها بيرت بواقعية:
«وهل ستخبرين الشرطة بالامر؟»
اجابت من دون ان تلتفت اليه:
«نعم.»
«لا اعلم حتى الآن ما اذا كنت صادقة في ما تقولينه يا لين، ام انِ القضية كلها مجرد تمثيل بتمثيل. وهذا لم يعد مهماً في اي حال، فاذا كنت صادقة تكونين قد حطمت حباً اقدره وأعتبره اهم شيء في حياتي، اما اذا كنت كاذبة... » هز بيرت كتفيه وأكمل:
«حماقتك انقذتني لأني كنت قد قررت مع اقتراب موعد المحاكمة وعجزنا عن الحصول على دليل لتبرئتك ان اقدم اعترافاً كاذباً حتى انقذك من القضبان، ولكنك استقبلتني بهذه الاتهامات الباطلة قبل ان يتسنى لي اطلاعك على نيتي.»
بحثت لين بنظراتها الحائرة عن عينيه لتجد فيهما الحقيقة وارادت الكلام لكنه سبقها الى ذلك:
«يا للسخرية! لو انتظرت بضع دقائق لكنت عرضت عليك خطتي لانقاذك من جريمتك! يا لي من عاشق ولهان أحمق يضحي بحريته وسمعته من أجل فتاة استغلالية انتهازية! من حسن حظي انك ظهرت على حقيقتك قبل اقدامي على تلك الخطوة البلهاء التي

كانت ستؤدي بي الى السجن في حين تبقين طليقة لتتابعي نشاطك الاجرامي الحقير.»
تحول وجه لين الى قناع من الازدراء والحقد فقالت والسم يقطر من كلماتها:
«لم ار في حياتي كلها كاذباً بهذه الوقاحة ! أوتجرؤ بعد كل ما فعلت على مواصلة اكاذيبك وأباطيلك؟ اغرب عن وجهي ولا تدعني اراك الا في المحكمة حيث تحكمك العدالة بعقوبة صارمة تناسب عملك الآثم!»
اقترب بيرت منها والشرر يتطاير من عينيه فخشيت ان يضربها. لكنه ما لبث ان ادار ظهره وخرج من الغرفة مقفلاً الباب وراءه بعنف.
بعد ليلة سادها السهاد توجهت لين الى مركز الشرطة وعيناها متورمتان من البكاء على اطلال حب وسعادة تحطم صرحهما عند أول هزة. وهناك استمع المفتش المكلف بقضيتها الى قصتها من دون ان ينبس ببنت شفة مكتفياً بين الحين والآخر بهز رأسه. تكلمت الفتاة ببطء وتفصيل متمنية لو انها تملك خياراً آخر تبرىء به نفسها وساحة الرجل الذي احبت.
بعد انتهائها طرح عليها المفتش سؤالين قال بعدهما:
«قصتك ليست جديدة يا آنسة ماكسويل، فقد مر بي السيد بيرت داين بعد ظهر امس وابلغني انك قد تأتين

الي لاتهامه بجريمة التهريب. وهو اعترف بأنه لمس الحقيبة وان يكن قد نسي ذلك لو لم تذكريه به. كما اصر واقسم على انه لم يدس العلبة في حقيبتك ولم ير هذه العلبة فيها ولم يشاهد كذلك الفاعل الحقيقي يقوم بعمله.

وبناء على طلبه قمنا بمقارنة بصماته بتلك الموجودة على العلبة فجاءت النتيجة سلبية اذ لم تطابق بصماته أياً من تلك التي على العلبة.» نظر المفتش اليها وأضاف:

«بالنسبة الينا لا شيء يشير الى تورط السيد داين في هذه العملية، لذا لن نقوم بتوجيه اي تهمة اليه.»

لم تدم المحاكمة اكثر من يومين. ولم يحضرها والدا لين بل عمتها ماري التي جاءت خصيصاً من يوركشاير للوقوف الى جانب الفتاة المسكينة. وجلست المرأة حيث تستطيع لين رؤيتها بقسماتها الهادئة وقبعتها المزينة بالريش. تفحصت المتهمة القاعة فلم تتعرف الى اي من الحاضرين سوى عمتها ومحاميها. وعندما وقفت في قفص الاتهام حسبت نفسها ظاهرة غريبة معروضة في السيرك يتفرج عليها الفضوليون.

استدعت النيابة العامة عدداً من الشهود بمن فيهم رجال الجمركي، خبير في الممنوعات، ومفتش الشرطة. بعد ذلك جاء دور الدفاع فرافع محاميها باذلاً اقصى جهوده بالرغم من قلة الحجج والبراهين

التي تقنع المحكمة ببراءة موكلته. فاستدعى مديرة المدرسة التي تعلمت فيها لين وبعض الجيران الذين عرفوها منذ الصغر. وهذا الامر الاخير لم يرق لوالدتها التي اعتبرت ان عليهم مغادرة الحيّ والسكن في مكان آخر لأن لين لوثت سمعة العائلة وأفقدتها احترامها. ولما علمت المتهمة بذلك طلبت من محاميها التوقف عن طلب الشهود من محيطها والاستعاضة عن ذلك باستدعاء بعض زميلاتها المضيفات. وهؤلاء الاخيرات لم يفدنها بشيء اذ حاولن الانتهاء من الموضوع والخروج من المحكمة بأسرع ما يمكن، كما انكرن جميعهن رؤية احد يضع العلبة في الحقيبة وأكدن ان تصرف لين خلال الرحلة كان طبيعياً لا يثير الشبهات.

والشاهد التالي من شهود الدفاع كان بيرت الذي ما ان دخل قاعة المحكمة حتى احست لين بنبضات قلبها تسرع وبيديها ترتجفان. وجه اليه المحامي اسئلة كثيرة، ودقيقة محاولاً الايقاع به لاثبات تورطه، لكنه فشل في ذلك اذ اجاب الشاب على الاسئلة بثقة ووضوح. وقال بيرت انه صرح امام رجال الشرطة بأنه لم يمس الحقيبة بعد هبوط الطائرة وهو الآن يتراجع عن هذا القول بعد ان اعادت لين الى ذاكرته كيف اخذ الحقيبة منها ليخرج جواز السفر. غير انه اكد عدم احتفاظه بها سوى ثوان قليلة ارجعها بعدها الى صاحبتها. واعاد بيرت

انكار اي علاقة له بالامر ونفيه رؤية العلبة في الحقيبة عندما اخرج الجواز. واستمر الاستجواب مدة طويلة ولم يرتبك بيرت اثناءها برغم قصد المحامي احراجه، وكان لا بد لهذا الأخير من انهاء اسئلته وترك الشاهد يذهب في سبيله.

واخيراً مثل، كشاهد، ممثل عن شركة الملاحة الجوية جاء يؤكد ان سلوك لين طيلة مدة عملها كان سلوكاً مثالياً ينمّ عن النزاهة والاخلاق، وانه لم يبدر منها يوماً اي تصرف يدل على تورطها في عمليات تهريب او ما شابه.

وقبل انتهاء دور الدفاع ادلت المتهمة بافادة قصيرة اصرت فيها على نفي التهمة جملة وتفصيلا.

رفعت الجلسة عند الظهر للغداء فتوجهت العمة ماري ولين الى مطعم قريب وجلست لين صامتة من دون ان تمس طبقها، في حين انصرفت العمة الشجاعة الى التحدث عن اشياء مختلفة كأعمال الزراعة وتربية الدواجن التي تقوم بها في القرية. واذا بلين تبدأ بالارتجاف بعدما خانتها اعصابها فأمسكت العمة ماري بيدها وشجعتها على مواجهة المشكلة كما فعلت هي في شبابها عندما فقدت خطيبها في الحرب العالمية الثانية، ثم خطف الموت زوجها وطفلها الوحيد في حادث سيارة.

حاولت لين الابتسام والدموع تتجمع في عينيها، وقالت شاكرة:

«لا ادري ماذا كنت افعل بدونك في هذه اللحظات؟»

«لا تقولي ذلك يا ابنتي، فالشجاعة والقوة صفتان تنبعان من داخل النفس البشرية. وانا على يقين انك قادرة على مواجهة الموقف بكرامة وبأس مهما كان قرار المحكمة. وتذكري اني دوماً الى جانبك لأنني واثقة ببراءتك، سأطلب لك شراباً منعشاً يساعدك على تخطي امتحان بعد الظهر العسير.»

بعد استئناف الجلسة اعيدت تلاوة قرار الاتهام، وملخص الوقائع ومطالعة النيابة العامة. ثم بدأ القاضي الرئيسي بقراءة حيثيات الحكم مشدداً على أهمية هذه الجرائم وخطورتها من الناحية الاجتماعية، ومبرزاً ضرورة المعاقبة عليها بحزم لمنع تفشيها ولردع مرتكبيها عن الامعان في غيهم. وأشار الى جهود الدفاع الرامية الى ابعاد التهمة عن لين ولكن هذه الجهود لا ترتكز الى دليل قاطع او الى اية اشارة تبرئها في حين ان كل الوقائع تدعو الى تجريم لين ماكسويل. وفي النهاية دعا القاضي هيئة المحلفين الى الانسحاب للتشاور واصدار الحكم بالبراءة أو بثبوت التهمة. ولم يفاجأ احد عندما عاد اعضاء هيئة المحلفين بعد عشرين دقيقة واعلنوا تجريم لين بقرار جماعي.

وهنا نظر القاضي الى الفتاة وقال بنبرة خطابية:

«لين ماكسويل، لقد ثبتت ادانتك بجرم حيازة الممنوعات ونقلها بغية تهريبها الى البلاد. وبما

ان هذا الجرم خطير ونظراً لرفضك التعاون مع قوى السلطة لكشف المحرضين والشركاء قررت هذه المحكمة ان تنزل بك عقوبة السجن مدة ثلاث سنوات.»

طرقت هذه الكلمات اذني لين كأجراس تقرع في داخلها واخذت تجيل نظرها في القاعة علها تجد بيرت لتريه الحقد والاحتقار اللذين تشعر بهما نحوه، لكنه لم ينتظر نهاية الجلسة لسماع الحكم. وسرعان ما امسكتها شرطية بيدها واقتادتها الى خارج المحكمة فالسجن.

الفصل الثالث

ثلاث سنوات مدة طويلة تتغير فيها شخصية المرء جذرياً، وبخاصة اذا دخل عالماً غريباً اكره فيه على اتباع نظام معين ومصاحبة اشخاص ما كان يحلم بلقائهم.

امضت لين اسابيعها الاولى في سجن النساء وهي شبه ضائعة وفي حالة من اللامبالاة، تنفذ ما تؤمر به، تنام، تغتسل، بالكاد تأكل حتى تسد رمقها، لا تكترث لزميلاتها وكأنهن غير موجودات. حضر والدها مرة لزيارتها وجلس لا يجد موضوعاً للتحدث ناظراً الى ساعته مرات عدة حتى يمضي الوقت ويرحل الى بيته بعد ايفاء قسطه من الزيارة ... اما والدتها فلم تتحمل فكرة المجيء الى السجن كما قال الوالد. وطلبت لين من ابيها عدم المجيء اليها مرة ثانية فحاول ادعاء الاعتراض اولاً لكنه اذعن ازاء اصرارها. ولاحظت الفتاة السجينة علامات الارتياح على وجهه لتخلصه من واجب الحضور الى هذا المكان المشين. وودعها واعداً بالكتابة. وبالفعل تلقت منه رسائل كثيرة خلال الاشهر الاولى، ثم اخذت تشح حتى كادت تنضب. والفتاة لم تعد تهتم لذويها فهي تعتبر نفسها من دون عائلة، اذ لا يمكن

www.elromancia.com

ان تعود للعيش في بيتها بعد خروجها من السجن لئلا تعكر صفو حياة والديها وطيف جريمتها يحوم في المنزل، سواء آمنا ببراءتها ام لم يؤمنا.

اما العمة ماري فكانت تأتي من يوركشاير لرؤية لين مرة كل شهر حاملة معها نفحة من الشجاعة وباذلة المستحيل لرفع المعنويات الفتاة المعذبة. كانت تجلس واياها لتحدثها عن مجريات حياتها اليومية في الريف.

مر شهر لم تأت فيه العمة ماري فقلقت لين عليها. وكان قلقها في محله اذ وصلتها رسالة من محامي العمة يبلغها فيها ان المرأة مصابة بمرض خطير وان حالتها ساءت بسبب عدم التزامها أوامر الاطباء بالخلود الى الراحة واصرارها على السفر من يوركشاير الى لندن لرؤية لين. وبعد أسبوع من ذلك وصلتها رسالة ثانية تنبئها بوفاة العمة ماري.

قدمت لين طلباً الى آمرة السجن بالسماح لها بحضور مراسم الدفن لكنها رفضت ذلك، الامر الذي زاد من حزن الفتاة التي فقدت بموت عمتها نصيراً ومرشداً ووسعت دائرة كرهها للاشخاص المحيطين بها. وزادها اسى شعورها بالذنب اذ لولا اضطرارها للتنقل بين يوركشاير ولندن لما تعبت العمة ماري.

وما زاد الطين بلة ان عمتها اورثت لين كل أموالها فاحست هذه الاخيرة انها لم تكتف بتعجيل موت عمتها بل وكأنها فعلت ذلك عمداً لترث أموالها.

ومع مرور الوقت اصبحت صورة بيرت في ذهنها هاجساً يلاحقها مهما فعلت، يوقظها من نومها، تبتلع خياله مع طعامها ... وصار هدفها محدداً بوضوح: الانتقام من بيرت الذي كان السبب في تعاستها ووجودها في هذا المكان المقيت. واخذت تعمل على بلورة خطة للنيل منه وزجه في السجن. خشيت ان يكون نال درساً من سجنها وابتعد عن التهريب، لكنها استبعدت هذه الفكرة اذ لا بد ان يستبد به الطمع من جديد ويعود الى التهريب، وعندما ستخرج من السجن ستكون له بالمرصاد للايقاع به وربما لدس ممنوعات في شيء يخصه والابلاغ عنه للشرطة فيقع في الورطة نفسها التي اوقع لين فيها!

سرت الفتاة بهذه الفكرة كثيراً واخذت تعمل عقلها جاهدة للوصول الى وسيلة ناجحة تحقق هدفها.

خطر لها ان تستخدم شخصاً تكلفه بالتقرب من بيرت لمراقبة تحركاته واقتناص الفرصة السانحة للابلاغ عنه عند قيامه بالتهريب، بيد ان هذه الفكرة لم ترق لها لسببين:

الاول هو صعوبة ثقتها بالشخص المأجور الذي سيقوم بالمهمة الدقيقة لانه قد يتسبب بافتضاح امرها، والسبب الثاني هو ان الانتقام لن يكون شافياً وكاملاً اذا نفذه غيرها وهي داخل السجن من دون ان ترى وجه بيرت يتعذب. ويبقى الشيء الأهم وهو ضرورة علم بيرت بأن المكيدة من اخراج لين والا

www.elromancia.com

فقد الثأر نكهته. لكن كيف تقترب الفتاة من حبيبها السابق من دون ان تثير شكوكه ومخاوفه اذ لا بد له ان يرى الحقد والكراهية في عينيها ويعلم بالتالي انها تضمر له شراً فيأخذ حذره. ولن ينفع لازالة مخاوفه ادعاؤها الصفح والسماح واستعدادها لإعادة الماضي البديع. وهكذا يغدو استخدام شخص ما امراً حتمياً.

بعد رسوخ فكرة الانتقام بدأت الفتاة السجينة تتعرف الى مجتمعها الجديد شيئاً فشيئاً. وخرجت من تقوقعها لتخالط بقية السجينات لعلها تجد بينهن واحدة تناسب لتنفيذ المهمة، او واحدة تساعدها على ايجاد من هو مؤهل لذلك رجلا كان ام امرأة. وقامت كذلك بتحريات دقيقة لتتصل بأخطر المجرمات اللواتي يستطعن تأمين كمية من الممنوعات في حال احتاجت اليها لتوريط بيرت. وبالطبع كان على لين التصرف بحذر وعدم اظهار فضول او الحاح كبيرين لكسب ثقة زميلاتها السجينات المتصلات بعصابات كبيرة وخطيرة.

تمكنت من التقرب من سجينة باهرة الجمال تدعى ماغي كليرمونت. كانت ماغي تعمل فتاة غلاف الى ان ضبطت تبيع مجوهرات سرقها حبيبها فدخلت السجن. ورأت لين ان ماغي هذه قد تكون ملائمة لتأخذ المهمة على عاتقها بخاصة وانها على اتصال بمعظم شخصيات عالم الجريمة في لندن. ومع الوقت

اكتشفت لين ان صديقتها تتمتع الى جانب جمالها بقدر لا بأس به من الغباء مما يجعلها لا تصلح لتحقيق اهدافها.

في أحد الايام جلست السجينتان تتبادلان اطراف الحديث، واخرجت ماغي صوراً فوتوغرافية تظهر فيها وهي تعرض الازياء. ابدت لين اعجابها بمواهب زميلتها وهي تتفرج على الصور، فاذا بها تلمح صورة سقطت على الارض فالتقطتها ونظرت الى صاحبتها لترى صبية ذات شعر متجعد وانف طويل تعلوه نظارتان سميكتان في حين ان ملابسها العادية لا تمت بصلة الى تلك الانيقة والفخمة التي تعرضها ماغي.

اعادت لين الصورة الى صديقتها سائلة:

«اهي نسيبة لك؟»

ضحكت ماغي وأجابت:

«نوعاً ما. هذه الفتاة كانت تدعى مورين هيغنز.»

«كانت؟ اهي متوفاة؟»

كادت ماغي تختنق من الضحك اذ قالت:

«باستطاعتنا اعتبارها كذلك.» نظرت الى الصورة من جديد وكأنها تستعيد ذكريات غابرة وتابعت:

«الفتاة في الصورة هي انا: ماغي كليرمونت.»

تفرست لين بالصورة جيداً قبل ان تقول:

«لا شك انك تهذين! كيف يعقل ان تكوني هذه الفتاة البشعة؟»

«بمقدور اي كان ان يجعل من نفسه جميلاً بفضل العلم المتطور...»

اسندت ماغي ظهرها الى الجدار وبدأت بسرد القصة:

«عندما كنت في الثامنة عشرة تعرفت الى رجل حاول اقناعي بانه سيجعلني نجمة سينمائية. ظننته يسخر مني أول الامر لينال مأربه فقط، اذ كيف يحول فتاة قبيحة مثلي الى بريجيت باردو! غير انه اصر على موقفه واصطحبني الى جراح في التجميل كان يملك عيادة في شارع هارلي اقفلتها السلطة بعد افتضاح امره، اذ انه اجرى عدة عمليات لتغيير ملامح وجوه اشقياء شهيرين كي يفلتوا من قبضة العدالة. المهم ان هذا الطبيب الماهر قصر انفي واجرى عملاً دقيقاً جداً لتغيير فتحة العينين واصلاح شكل الذقن. ثم اصطحبني الى طبيب اسنان اصلح اسناني البشعة وجعلها كصفات من حبيبات اللؤلؤ. اما المرحلة الأخيرة من عملية إعادة التأهيل فكانت تمضية أسابيع في مصح خاص حيث اتبعت حمية لانقاص وزني بضعة كيلو غرامات وحيث وضعت لي عدستان لاصقتان بدل نظارتي المرعبتين. وها انذا ماغي كليرمونت بعدما دفنت المسكينة مورين هيغنز.»

علقت لين وهي لا تكاد تصدق:

«عمل رائع! لا احد يشك ان مورين هذه هي نفسها انت!» وخطرت لها فكرة جعلت وجهها يشرق وعيناها تشعان، فاستفهمت:

«كم تبلغ كلفة هذا التبديل الكبير؟»

«لا اعلم بالضبط كم دفع، غير انني اعتقد ان المسألة تتطلب بضعة آلاف.»

«وهل انت على علم اذا كان هذا الجراح ما زال يجري عمليات تغيير ملامح الوجوه؟»

نظرت ماغي اليها باستغراب واجابت:

«نعم، اظن ذلك. ولكن لماذا تسألين؟»

«اريد اجراء عملية لوجهي حتى يصبح جميلاً.»

«لا ارى ان وجهك بحاجة لعملية يا لين، فانت جميلة لا قبيحة كمورين.»

«اريد ان ابدأ حياة جديدة عند خروجي من السجن من دون ان يتعرف الي احد.»

وافقت ماغي قائلة:

«افهم ذلك يا عزيزتي.» ترددت قبل ان تضيف:«عليك ان تدركي ان الجمال ليس مصدراً للسعادة. صحيح انه يؤمن المال والعمل واهتمام الرجال، لكنه ما يلبث ان ينقلب مصدر شقاء عندما تنكشف نوايا الرجال الحقيقية عندما تصادفين رجلا تعميه الغيرة اذا داعب النسيم شعرك، ولا ننسى كره النساء للمرأة الجميلة لأنها تنافسهن على اقتسام الغنيمة. خذي العبرة مني وانظري اين انتهى بي المطاف لأني منحت ثقتي لرجل احببته.» هزت ماغي كتفيها وأردفت: «لربما توجهت الى ذلك الطبيب بعد خروجي من هنا ليغير وجهي من جديد.»

www.elromancia.com

«اتزمعين على ان تعودي مورين هيغنز؟»

تناولت ماغي الصورة ورفعت حاجبيها قائلة بمرح:

«لن اصل الى هذا الحد بالطبع... لو كنت املك وجهاً كوجهك لما فكرت يوماً بتغييره.»

للين دوافعها ولهذا قالت جازمة:

«انا اعني ما أقول ومصممة عليه.»

لم يسع ماغي سوى الموافقة ازاء هذا الاصرار:

«حسناً، سأطلعك على كيفية الوصول الى هذا الطبيب عندما يحين موعد خروجك.»

مرت الشهور ببطء ولين لا يشغلها سوى المضي قدماً في بلورة خطة انتقامها واخراجها بشكل كامل لا يفسح في المجال لأي زلة. وتنفيذاً لذلك واظبت باهتمام كلي على جميع دروس اللغات الاجنبية المتوافرة في السجن، لا بل انها اخذت دروساً اضافية على يد سجينة فرنسية لقاء مبلغ من المال. ولين كانت على أي حال ممتازة في اللغات الاجنبية أيام الدراسة، وهذا ما سهل لها الحصول على وظيفة مضيفة في الشركة العالمية للملاحة الجوية. اما الآن فهي تنوي تسخير هذه الموهبة لسحق بيرت.

اثناء فترة العقوبة قابلت لين مراراً مصلحين اجتماعيين تنتدبهم الدولة للعمل على تأهيل السجناء وتحضيرهم لدخول المجتمع كعناصر فاعلة وصالحة. وقد نصحها هؤلاء بعدم الاختلاط

بالسجينات ذوات السجلات الوسخة الملطخة بجرائم خطيرة، سوى انهم وجدوا انفسهم يجهدون على غير طائل كون لين تجلس امامهم خلال المقابلات بوجه جامد كالصخر وتكتفي بالاجابات المقتضبة على اسئلتهم. وهكذا تابعت اتصالاتها بسجينات عالم العصابات لتزيد من اطلاعها على خفايا وخبايا عالم الجريمة في لندن وتسخر معلوماتها الجديدة في الارتداد على بيرت واحراقه كما حرق ثلاث سنوات من عمرها. وكان عدم تجاوب لين مع جهود ومحاولات المصلحين الاجتماعيين سبباً في ابقائها في السجن نفسه، فالسجينات اللواتي يظهرن تحسناً في السلوك يتم نقلهن الى سجون اخرى تتوافر فيها وسائل الراحة واللهو. ولم تهتم لين لذلك باعتبارها تفضل البقاء مع أناس يساعدونها على تحقيق مقصدها.

في اليوم الذي سبق اطلاق سراحها توجهت لين لمقابلة آمرة السجن. وهناك في المكتب الموحش استمعت الى محاضرة طنانة في الاخلاق وتلقت سيلاً من النصائح. واكثر ما شددت آمرة السجن كان على وجوب فتح صفحة جديدة بعد انتهاء مدة العقوبة وتجنب الانزلاق في متاهات الجريمة بعد الآن لأن العدالة لا ترحم المجرم في حالة التكرار. وافقت لين في داخلها على وجوب فتح صفحة جديدة خصوصاً وأنها ستفتح هذه الصفحة للاقتصاص من بيرت،

www.elromancia.com

وغرقت في افكارها وخطط الانتقام حتى انها لم تدرك ان المرأة انهت مواعظها الا بعد ان نادتها باسمها عدة مرات.

تنهدت آمرة السجن وقالت:

«ارى انك لم تستوعبي شيئاً مما قلت. وانا حقاً آسفة لمغادرتك هذا المكان لأنك لست مؤهلة لخوض غمار الحياة الصالحة بعد. كما اني لن افاجأ بعودتك القريبة الينا اذ ان موقفك العنيد طوال ثلاث سنوات ينبئني بانك تحضرين للقيام بعمل احمق جديد. لقد قمت بواجبي وحاولت نهيك وارشادك الى الطريق القويم، حسناً يا ماكسويل، بامكانك الانصراف.»

لم تنبىء لين ذويها بموعد خروجها من السجن. وحين خرجت الى الحرية في ذلك الصباح البارد فوجئت بماغي كلير مونت التي اطلق سراحها قبل شهور تنتظرها في سيارة تاكسي.

حيتها ماغي بابتسامة عريضة:

«اهلاً وسهلاً بك الى ما يسمى المدنية يا ابنة المجتمع المنبوذة!»

«الم تحضري لي حفل استقبال؟»

«يا ليتنا نقيم حفلاً يكون شعاره: لا للرجال الذئاب.»

تعانقت الفتاتان طويلاً وكادت الدموع تطفر من عيني لين لانها وجدت في ماغي اخلاصاً وحناناً فقدتهما من زمان.»

«اشكرك يا ماغي على هذه اللفتة الحلوة.»

توجهتا الى شقة ماغي حيث اخذت لين حماماً ساخناً في حين انهمكت الأولى بتحضير طعام الفطور. وبعد تناول الطعام قالت ماغي والسيكارة في يدها:

«كيف تنوين تمضية يومك الاول؟ تحبين الخروج للتسوق وشراء ثياب جديدة ام تؤثرين البقاء وحيدة للتأمل؟ انا شخصياً امضيت يومي الاول انصت الى السكون، فاذا رغبت بذلك سأخرج لئلا ازعجك.»

«لا يا عزيزتي، اود العمل بسرعة لمقابلة ذلك الجراح.»

«اما زلت مزمعة على اجراء العملية؟ تروّي قليلاً فربما غيرت رأيك بعد بضعة أسابيع خارج القضبان.»

علقت لين على ذلك باختصار:

«لم ولن أغير رأيي. هل رأيت الطبيب؟»

«نعم رأيته، وهو مستعد لاجراء العملية ساعة تشائين بشرط ان تدفعي نصف المبلغ مقدماً.»

«موافقة، لكنني احتاج ليومين فقط كي انجز بعض الاعمال. ما هو عنوانه؟»

أجابت ماغي:

«انه يملك عيادة في كنت. سأتصل به وأبلغه بقدومك في الاسبوع المقبل.»

«أريد منك ان تساعديني في الحصول على جواز سفر ورخصة سوق جديدين بعد انتهاء العملية.»

www.liilas-romance.com

اعترضت ماغي قائلة:«وما حاجتك اليهما؟ بامكانك وضع صورة وجهك الجديد على الجواز القديم.»

«لا فأنا انوي الحصول على اسم جديد بالاضافة الى الوجه الجديد.»

«ولماذا يا لين؟»

«لأسباب شخصية جداً تدفعني كذلك لاستخدام تحر خاص او اي شخص يجيد جلب المعلومات وابقاء فمه مقفلاً. اتعرفين شخصاً يملك هذه المواصفات؟»

يبدو ان جعبة ماغي لا تفرغ اذ اجابت:

«ليس اسهل من العثور على الشخص المطلوب. وأرجو ان تكوني مدركة لما تفعلين لأني لم افهم شيئاً من ألغازك.»

«لا تقلقي يا عزيزتي فقد حضرت لكل خطوة اقوم بها تحضيراً كافياً وافياً.»

بعد قضاء ليلة عند ماغي استقلت لين القطار في الصباح التالي الى منزل ذويها. وصلت ورأت والدها في الحديقة يشذب الشجيرات والغليون في فمه، مردداً لحناً وكأن السعادة كلها ملك يديه. وقفت لين تراقبه بصمت حتى رفع رأسه ولمحها. لم يتعرف اليها في بادىء الامر لكنه ما لبث ان ابتسم وفتح ذراعيه مرحباً.

«لين! طفلتي العزيزة!»

احست الفتاة بحاجة الى الارتماء في احضان والدها لتستعيد القليل من هناء الطفولة، غير ان ذكرى

السنوات الفارغة الباردة التي امضتها في السجن اجتاحتها واطفأت هذا الاحساس، فقالت ببرود:

«مرحباً يا والدي، كيف حالك؟»

فوجىء الرجل بنبرتها واختفت الابتسامة عن ثغره، فمد يده مصافحاً كأنه يستقبل ضيفاً عادياً ورافقها الى داخل المنزل وقال لزوجته الجالسة الى المكتب تخط رسالة في غرفة الجلوس:

«انظري من اتانا يا اليزابيت.»

استدارت الوالدة، وعندما شاهدت ابنتها تحولت الابتسامة على وجهها الى مزيج من الصدمة والغضب والخوف. راقبت الفتاة تراقص المشاعر وتواليها على وجه امها التي نزعت لين من حياتها واعتبرتها غير موجودة ودفنتها في طيات النسيان منذ يوم الحادثة. وواضح الآن انها لم تحسب حساباً لاحتمال عودتها بعد مرور ثلاث سنوات كطيف مزعج وكشبح فتاة ماتت في قلب امها. ازاء ذلك قالت لين في نفسها ان هذا المكان لم يعد بيتها وبيرت هو المسؤول عن ذلك بالاضافة الى سلب ثلاث سنوات من عمرها.

بذل الوالدان جهدهما ليظهرا الترحيب بابنتهما. جلبا لها القهوة وبعض الحلوى وجلسا يحادثانها بحذر لتجنب الخوض في ما حدث. وشعرت لين ان والديها منزعجان من وجودها ولا يعلمان كيف يبلغانها انها لن تستطيع المكوث معهما من جديد. تركتهما الفتاة يتحرقان بعض الوقت وكأنها تريد

الانتقام لأنهما لم يمدا لها يد العون في مصيبتها. وفجأة غمرها شعور بالشفقة تجاه والديها المسكينين اللذين تعرضت حياتهما لهزة عنيفة. فلماذا تعود الآن لتفسد عليهما هناءهما بعدما نسيا ان لهما ابنة اسمها لين دخلت السجن بتهمة التهريب؟

وحتى تنهي المعاناة ابلغت لين والديها انها قررت الهجرة والعيش في الخارج، وانها ستبلغهما بعنوانها عندما تستقر. وكان لهذا القول مفعول سحري على وجه الوالدين فغمرهما الارتياح حتى كادا يطيران من الفرح. وبعد قليل غادرت لين البيت الذي كان بالماضي منزلها من دون ان تلتفت الى الوراء وهي تعلم انها لن ترجع الى هذا المكان بعد الآن.

في الصباح التالي توجهت بالقطار الى يوركشاير لرؤية محامي عمتها المتوفاة ماري. وهناك وقعت عدة اوراق وتسلمت مجوهرات العمة النفيسة وبعض قطع الاثاث الاثرية الموجودة في البيت الذي اوعزت لين ببيعه مع معظم موجوداته. وبسرعة عادت الى لندن بعد ان انهت المعاملات المتعلقة بالميراث لتكمل هناك مخططها الذي لن يرحم مسبب شقائها.

بعد شهر ونصف قصدت لين شقة ماغي. قرعت الجرس ولما فتحت صديقتها بادرتها الى القول:

«الآنسة كليرمونت؟»

امتلأت عينا ماغي الزرقاوان فضولا وسألت:

«نعم ماذا تريدين؟»

«انا اعمل مصلحة اجتماعية بالتنسيق مع ادارة السجون المركزية، وجئت اليك...»

قاطعتها ماغي بحدة:

«بامكانك الانصراف لأني غير مستعدة...» توقفت فجأة عن الكلام عندما رأت لين تنفجر ضاحكة، فاستوضحت:

«من انت؟ وماذا تريدين؟»

«انا لين يا ماغي. آسفة على الازعاج لكني اردت التأكد من ان اقرب المقربين الي لن يستطيع التعرف الى وجهي.»

«يا للهول! ماذا فعل الجراح بك؟ حتى امك لن تعرفك اذا رأتك.»

أفسحت ماغي الطريق لصديقتها حتى تدخل وتابعت:

«ارى ان الأمر لم يقتصر على انفك فهناك شيء آخر تبدل في وجهك.»

«صحيح فقد صغر لي ذقني شد جلد الصدغين لتبدوَ العينان اكبر. بعد الجراحة قصدت اختصاصياً في التجميل جعل حاجبي رفيعين وصبغ شعري اشقر.»

«عيناك ايضاً مختلفتان.»

«وضعت عدستين رماديتين وغيرت لون رموشي. المهم الآن، ما رأيك؟»

تفحصتها ماغي بتمعن واصدرت حكمها:

«من الأكيد انك لم تنفقي مالك هدراً يا لين. فبهذه

الضفائر الذهبية وهذا الوجه الفاتن ومع حسن اختيار الملابس، انت بلا شك جميلة وعلى اهبة الاستعداد لادارة رؤوس الناس.»

حدقت لين في المرآة وسألت بجدية:

«اتقولين الحقيقة ام انها مجرد مجاملة؟ ارجو ان تصارحيني فالمسألة حساسة للغاية.»

«ثقي اني لست اجاملك. انت جميلة حقاً بالرغم من البرود البادي في عينيك وقسماتك.»

«تصوري اني لا اصدق نفسي عندما انظر الى المرآة. وكم من مرة مررت قرب متجر وحسدت الفتاة المنعكسة صورتها في الزجاج على جمالها لانتبه ان الفتاة ما هي الا انا، فأقف وأطيل التفرج على قوامي حتى يخالني المارة مصابة بمس او أقله بعقدة نفسية.»

دخلت الفتاتان الى غرفة الجلوس لاحتساء بعض القهوة للدردشة.

سألت ماغي:«اي اسم ستختارين؟»

« فكرت ملياً بهذا الموضوع وقررت اختيار اسم قريب من لينيت حتى تعتاد اذني عليه، وهكذا انتقيت اسم نيتا.»

وهكذا لن يشك بيرت بأن نيتا هو تصغير للينيت وهو في اي حال لم يكن يناديها الا لين من غير ان يعلم اسمها الكامل، ولعله ظن لين تصغيراً لليندا كما يفعل معظم عارفيها. وليس في ذلك ما يفاجيء

لان لين لم تكن تستعمل اسم لينيت الا في اتمام المعاملات الرسمية وما شاكلها.

«نيتا ماذا؟»

«لم اختر شهرة بعد، فهل لديك اقتراح يا آنسة كليرمونت؟»

فكرت ماغي قليلاً ثم قالت :

«ما رأيك بشهرة بسيطة كبايج او مورغان؟» تناولت جريدة تصفحتها بسرعة ووجدت فيها اسماً مناسباً فاقترحت :

«عثرت على شهرة ملائمة في الجريدة: نيتا لويس. اليس وقعه جيداً؟»

رددت لين الاسم مرتين او ثلاثاً قبل ان توافق:

«انه يعجبني. من الآن فصاعداً صرت ادعى نيتا لويس.»

«هذا يعني وجوب تدبر جواز السفر المزور.»

«حتماً، لقد احضرت معي المال اللازم والصور الشمسية والباقي عليك على أمل الا يطول انتظاري.»

تناولت ماغي المال والصور من لين وأكدت:

«سيحتاج الامر الى اسبوع.»

«لا بأس.»

مكثت الاثنتان تثرثران وقتاً طويلاً الى ان حان وقت انصراف لين الى فندقها بعد التواعد على اللقاء بعد يومين في الاسواق وشراء بعض الملابس. من الفندق

www.rewity.com

توجهت لين الى احد مخازن لندن الشهيرة، التي تحوي كل ما يمكن ان يطلبه المرء. وهناك اشترت شعراً مستعاراً شبيهاً بشعرها السابق عندما كانت لينيت ماكسويل. ثم عادت الى غرفتها لتضع الشعر وتنزع العدستين عن عينيها ذلك لأنها نوت مقابلة التحري الخاص الذي استخدمته قبل دخولها العيادة للاستقصاء عن بيرت. ولا فائدة من اطلاع التحري على خضوعها لعملية تجميل وتحوير لأن كل سر جاوز الاثنين شاع.

وجدت لين ان الرجل يستحق فعلا الجنيهات الخمسمئة التي تلقاها مقابل عمله، اذ حوى تقريره كل التفاصيل عن بيرت ومنها انه ما انفك يمارس عمله، في شركة الملاحة الجوية نفسها انما على خط لندن سنغافورة، بصفته طياراً اصيلا لا مساعد طيار كما كان. وعلمت لين كذلك انه ما زال عازباً وغير مرتبط بعلاقة جدية مع اي فتاة.

في التقرير كذلك عنوان بيرت في لندن، وهو نفسه الذي تعرفه لين، واسم الفندق الذي ينزل فيه في سنغافورة بالاضافة الى برنامج مفصل عن الرحلات المقررة للشهرين التاليين. استمعت الفتاة بعد ذلك الى تقرير شفوي من التحري وانهت معلوماتها ببعض الاسئلة. وهكذا صارت تملك اهم الخيوط لنسج مؤامرتها وبدء العمل الذي طالما انتظرته.

طارت لين الى سنغافورة بعد حصولها على جواز

سفر مزور باسم نيتا لويس، وهناك قصدت الفندق الفخم الذي ينزل فيه افراد طاقم الشركة لقربه من المطار. ولم تجد صعوبة في ايجاد غرفة مريحة مع حمام مستقل في الطابق الحادي عشر. ولما كان امامها عشرة ايام قبل وصول بيرت حسب الجدول المعطى من التحري الخاص شرعت بالبحث عن عمل. وزارت لهذه الغاية عدة مكاتب استخدام وقابلت عدداً من الاشخاص من دون ان تحظى بمطلبها. واخيراً ابتسم لها الحظ وتعاقدت مع مدرسة معظم تلامذتها اولاد رجال اعمال بريطانيين وأميركيين يعملون في سنغافورة. وبموجب العقد كان على لين تدريس الفرنسية التي اتقنتها في السجن لأربع فترات في الاسبوع بالاضافة الى الحلول مكان اي من افراد الهيئة التعليمية في حال الغياب. وجدت لين في هذه الوظيفة مبتغاها ومبرراً لبقائها في البلاد مع احتفاظها بأوقات فراغ كثيرة، والأحسن من ذلك وقوع المدرسة في مكان غير بعيد عن الفندق مما يجعل مكوثها فيه شيئاً طبيعياً لا يثير الشكوك. والحقيقة ان لين فوجئت بسهولة الحصول على عمل في بلاد اجنبية، الامر الذي خشيت صعوبته عندما وضعت خططها، ولا شك ان جمالها المكتسب بواسطة الجراحة والتجميل لعب دوره ايضاً. كيف لا وكل مدير شركة يأمل بالحصول على سكرتيرة جميلة تجلب له الزبائن؟

الانتقال من مرحلة الى مرحلة كما فعلت لين ليس بالأمر اليسير خاصة وان هذا الانتقال كان جوهرياً للغاية. فلا بد ان تجد الفتاة صعوبة بأن تصبح جميلة ومحط الانظار بعد ان كانت عادية جداً. صحيح تعرفت الى بعض الفتيان خلال فترة المراهقة، غير ان الأمر لم يتعد إطار التسلية والبحث عن المغامرة، فلم يبح لها احدهم بحبه ولم يعبر عن ولهه بقصيدة او بباقة زهر عطرة، حتى بيرت الذي زعم انه مغرم بها ما عاملها يوماً كشيء ثمين يخاف عليه من الخدش ويحرص عليه كما يجب ان يحرص العاشق على حبه. وسبب ذلك بات معلوماً بعد ان اكتشفت لين خداعه ووقعت في الفخ الذي كلفها سنوات في السجن مرمية على هامش الحياة منبوذة من المجتمع الظالم الذي لا يرحم. اما الآن فشتان بين ما كان وما صار، لأن عيون الرجال اصبحت ترمقانها يكاد ينطق بالاعجاب دون حاجة الى لسان، والجميع يحاول التقرب منها وكسب ودها، من مدير مكتب السفريات في لندن حيث اشترت تذكرة السفر الى الشاب الذي جاورها في الطائرة، الى كل الرجال الاوروبيين والاميركيين الذين قابلتهم في سنغافورة حتى الآن، ومن الطبيعي ان الفتاة شعرت بالحرج والارتباك امام الرجال كونها ابتعدت عن مخالطة الناس مدة طويلة، وشيئاً فشيئاً تعلمت كيف تعاملهم فاصبحت تظهر تجاه الرجال خصوصاً

برودة اعصاب وتحفظاً شديداً، الامر الذي يجعلهم غالباً يكفون عن ملاحقتها.

امضت لين ثلاثة أيام في عملها الجديد قبل ان يحل الموعد المحدد لوصول طائرة بيرت. ومع اقتراب ساعة الصفر زاد توتر الفتاة مع انها لا تنوي الاقتراب من الرجل الآن، فمخططها مرسوم بدقة ويحتاج الى نفس طويل لينضج ويصبح بالامكان جني الثمار. لذا كان عليها اولاً التعرف بالعين الى المضيفات وجعلهن يرونها، ولا ضير من تبادل بسمات التحية معهن، والهدف من ذلك ظهورها بمظهر النزيلة الدائمة في الفندق حتى تعتاد الفتيات على رؤيتها فيتعرفن اليها تلقائياً بعد وقت قصير فتأتي المبادرة منهن بشكل طبيعي لا يثير الانتباه.

في اليوم المحدد تاهت لين في شوارع سنغافورة المزدحمة وهي في طريق العودة من المدرسة الى الفندق. ولم تفلح في ازالة جبل الخوف الضاغط على صدرها وهي على أهبة الشروع في رحلة الثأر المرتقبة. فهل تستطيع ضبط اعصابها عند مشاهدة بيرت ومتابعة تمثيل الدور باجادة وبراعة؟ الن تنهار بفعل كرهها وحقدها وتصرح له بكل شيء؟ عمل كبير لا مفر من خوضه، جعلتها الفكرة الأخيرة تحث الخطى حتى تصل قبل افراد الطاقم وترى المضيفات وهن في ثياب العمل حتى تستطيع تمييزهن، وبالفعل نجحت في الوصول في اللحظة

الأخيرة اذ كان احد باصات المطار يتوقف أمام باحة الفندق. استعادت لين كل شجاعتها ودخلت ردهة الاستقبال حيث طلبت مفتاحها الذي أصبح معروفاً من الموظف عن ظهر قلب.

قال الشاب وهو يناولها المفتاح:

«هناك رسالة لك يا آنسة لويس.»

ابتسمت لما رأت خط ماغي الذي تستطيع تمييز رداءته بسهولة فائقة.

ماغي هذه اثبتت انها اوفى انسانة تعرفت اليها لين في حياتها. فهي حاولت ثنيها عن ارتكاب اي عمل متهور، ولكن امام اصرار لين مدت لها يد العون وأمنت لها الحصول على جواز السفر المزور برغم خطر العودة الى السجن.

وفجأة سمعت صوتاً مألوفاً فيه الكثير من السلطة يتحدث الى موظف الاستقبال، فلم تتجرأ على النظر الى صاحبه بل استدارت وتوجهت للجلوس على احدى الكنبات. فتحت الرسالة، متظاهرة بقراءة محتواها باهتمام، واخذت تراقب المضيفات بثيابهن الكحلية والمختلفة عن تلك المعتمدة أيام عملها في الشركة.

بذلت لين المستطاع لتبقي عينيها على المضيفات غير انها لم تقو على عدم النظر ناحية بيرت المنهمك بتعبئة الاوراق على المكتب. وفجأة التفت ليتحدث الى مساعده فرأت جانباً من وجهه وعادت بسرعة

الى رسالتها ودقات قلبها المتسارعة تكاد تسمع حتى البعيد. كانت تلك اللمحة كافية لتلحظ ان شيئاً ما في ملامحه يختلف من دون ان تستطيع تحديده، لذا صار عليها ان تتفحصه عن قرب لتكتشف ما هو.

بعد ان استلم افراد الطاقم مفاتيح الغرف اتجهوا بحقائبهم الى المصاعد، في حين تفرست لين بالمضيفات الست حتى تتأكد من انها الفت وجوههن تماماً. ولاحظت لين ان عينا احد المضيفين وقعتا عليها ورمقتها بنظرة اعجاب، فلم تبد اهتماماً وركزت على رسالة ماغي لأنها لا تنوي مطلقاً ايقاع احد غير بيرت في شباكها القاتلة.

صعد الجميع في مصعد واحد كبير توقف اولا في الطبقة السابعة ثم في الطبقة الثانية عشرة، وهذا يعني ان الطيار ومساعده ومهندس الطيران ينزلون في الطبقة السابعة تاركين للافراد الباقين الطبقة العليا.

جلست لين بعد انصرافهم تستعيد هدوء اعصابها المصابة بصدمة مشاهدة بيرت بعد طول غياب، وتمنت في تلك اللحظات لو انها استخدمت تحرياً خاصاً لهذه المهمة الشاقة، بيد انها استطاعت الى حد ما اجتياز الامتحان الأول من دون ارتكاب حماقة وان يكن قلبها ما زال بحاجة الى بعض الوقت ليعود الى نبضه الطبيعي. ولم تعلم ما اعتمل

في نفسها لدى رؤية الرجل: الحقد، الألم، الذكريات الحالمة... كل هذه المشاعر تلاطمت كالامواج في داخلها وافقدتها صفاء الذهن ونقاء البصيرة.

نهضت لين وساقاها ترتجفان، ومشت نحوالمصعد ممسكة بالرسالة التي لولاها لما استطاعت تجاوز التجربة الصعبة، وكأن عون ماغي ما يزال يؤتى مفعوله هنا على بعد آلاف الاميال من لندن...

في غرفتها كان السرير ملاذاً فاغمضت عينيها وغطت في نوم عميق.

لم تشاهد لين أياً من افراد الطاقم الا بعد ظهر اليوم التالي. فهي عادت من المدرسة لتتناول طعام الغداء في مطعم الفندق حيث جلست مضيفتان الى مائدة قريبة منها . وتدبرت لين الامر حتى تنهي الطعام معهما فوقفت وراءهما تماماً في الصف لدفع الحساب، وبذكاء اوقعت الفاتورة قرب ساق احداهما فالتقطتها قائلة :«عفواً.»

ابتسمت الفتاة وسألتها:

«هل انت بريطانية؟»

بادلتها لين الابتسامة واجابت:

«نعم، كيف عرفت ذلك؟»

ضحكت المضيفة وأوضحت:

«في عملنا نعتاد على معرفة جنسيات الناس من لهجاتهم او من ملامحهم.»

سددت لين ما عليها ثمناً للطعام في حين مشت

المضيفات صوب المصاعد. ولما خرجت من المطعم كانت الفتاتان بانتظار المصعد، ترددت لين قليلاً قبل ان تقرر عدم الالحاح وذهبت الى مكتبة الفندق لشراء بعض المجلات المسلية.

في اليوم التالي تدبرت الامر لتتواجد في المصعد مع مضيفة اخرى، كما تبادلت التحية مع المضيفتين السابقتين مسرورة بسير الخطة كما رسمتها. في المساء جلست في البهو تتصفح مجلة حين شاهدت جميع افراد الطاقم بثياب السهرة الانيقة يهمون بالخروج معاً. واتيح لها ان تراقب بيرت اكثر من دون ان تنجح في اكتشاف ما بدا لها مختلفاً فيه.

وضع بيرت ذراعه حول خصر احدى المضيفات، وكان يبتسم وهو ينظر في عينيها بحنان كما حصل للين تماماً في ذلك العهد الخليّ . أثار ذلك في نفسها حنيناً وشوقاً الى الحب الدافىء وحسدت المضيفة على ما تنعم به اذا كان ذلك حقيقة، ولكنها ما لبثت ان احست بالخوف يتسلل الى اعماقها، خوف على الفتاة المسكينة من ان يكون بيرت اوقعها في الفخ ليستعملها اداة لاخفاء ما يريد تهريبه كلما رأى الخطر يدنو منه. وزادها ذلك تصميماً على انهاء الخطة رحمة بهذه الفتاة وبغيرها.

عاد افراد الطاقم الى لندن في الصباح التالي فاستطاعت لين العودة الى نفسها لتقيم جردة حساب بما فعلت حتى الآن، وتقرر الخطوات المناسبة للرحلة

المقبلة على أمل ان يتألف الطاقم من الاشخاص انفسهم وبخاصة الفتاتان التي استطاعت استرعاء انتباههما والتحدث اليهما. وبانتظار مجيء بيرت ثبتت نفسها في وظيفتها كمدرسة، وامضت اوقات فراغها في المدينة المزدحمة كخلية نحل، وفي الحديقة القريبة من الفندق حيث اعتادت على الجلوس للتمتع بالهواء النقي والشمس الساطعة، متعلمة من العصافير الفرحة ان الحرية كنز لا يقدر بثمن.

في الموعد المحدد جلست لين في البهو تراقب افراد الطاقم يدخلون الفندق، وسرت لما رأت ان احداً منهم لم يتغير وان طريقة تحدثهم مع بعضهم تدل على انهم اعتادوا السفر معاً واصبحوا اصدقاء. يبقى انها تأمل ان يكونوا ودودين ويقبلوا صداقة فتاة جديدة من خارج العمل. ولم يخب أمل لين ففي المساء نفسه التقت بالمضيفة التي تحدثت اليها في المطعم واتفقتا على تناول العشاء الى طاولة واحدة. بدا ان جولي كونورز، وهو اسم المضيفة، فتاة مرحة تحب الناس اذ سرعان ما انسجمت مع جليستها في حديث طويل متنوع المواضيع. سألتها لين:

«كم مضى عليك في هذه المهنة؟»

«سنة ونصف.»

جواب اعجب لين لانها تفضل ان تكون الفتاة التي ستستعملها للوصول الى بيرت حديثة العهد في الشركة لم تسمع بما حصل للمضيفة لين ماكسويل.

لم تخبر لين، التي قدمت نفسها تحت اسم نيتا لويس، جوليا بالشيء الكثير عن حياتها. فاكتفت بالقول انها لم تكن تملك مالاً كثيراً فاضطرت للسفر حتى تجد وظيفة لائقة تمكنها من بناء مستقبل ناجح، وافهمت المضيفة انها تمارس مهنة التعليم منذ زمن طويل قبل مجيئها الى سنغافورة.

«اتعلمين دوماً على هذا الخط يا جوليا؟»

«معظم الاحيان، فأفراد الطاقم لطفاء احب العمل معهم والبلاد جميلة تستحق الزيارة.»

واخيراً تطرقت لين الى السؤال المطلوب:

«أفهم من كلامك ان الطيار ليس من النوع المتجهم؟»

«بيرت شخص رائع، فهو جدي وقت الطيران ومرح كثيراً عندما نخرج سوياً.»

«لا بد انه مغرم باحدى المضيفات.»

«انت مخطئة يا نيتا، فمن مبادىء بيرت الا يقيم علاقة مع فتيات الشركة.»

هزت جوليا كتفيها وأضافت:

«ليس سبب ذلك انه متزوج او مغرم بل يفضل الصداقة البعيدة عن جو العمل، وثقي انه لا يجد صعوبة في العثور عليهن.»

نظرت لين الى المضيفة وعلقت:

«طياركم يحب النساء اذن؟»

ضحكت جوليا قائلة:

«لن تستغربي ذلك عند رؤيته، فهو شاب في الثالثة والثلاثين، طويل القامة، اسمر البشرة، ازرق العينين. باختصار وسامته تجعله فارس احلام كل فتاة، ولا اخالك الا واحدة منهن.»

«لا، لقد منحت نفسي فترة للراحة والتأمل بعيداً عن عالم الرجال، ولن يثنيني عن عزمي بيرت هذا او غيره.»

تحول الحديث بعدئذ الى مناقشة مواضيع الازياء والسينما حتى بدأت جوليا بالتثاؤب من تعب الرحلة الطويلة.

«قررنا الذهاب غداً بالباص الى وسط المدينة للتسوق، فما رأيك في مرافقتنا؟»

وافقت لين على الاقتراح بسرور:

«يسعدني ذلك.»

اتفقت الفتاتان على اللقاء في الثانية من بعد ظهر اليوم التالي قبل ان تصعد كل منهما الى غرفتها.

ارتاحت لين للتقدم الذي حققته خطتها حتى الآن على أمل ان تصل الى الغاية المنشودة.

وافت لين المضيفات الأربع في الموعد المحدد وقدمتها جوليا الى رفيقاتها الثلاث كالمدرسة نيتا لويس.

في السوق الكبير الزاخر بالمحلات التجارية على انواعها امضت الفتيات ساعات ممتعة في التفرج على الواجهات بحثاً عما يناسب الذوق والجيب. بعد

ذلك جلسن يحتسين الشاي الانكليزي الاصيل في فندق رافلز ذي الاجواء البريطانية.

حاولت لين خلال هذا الوقت التصرف بشكل طبيعي لئلا تقودها زلة لسان الى مأزق يهدم ما بنته بدقة وصعوبة. وكان عليها بشكل خاص الا تفضح اي شيء يتعلق بماضيها، وهذا الامر من الصعوبة بمكان كونها مضيفة سابقة تجالس اربع مضيفات تستهلك مشاكل الطيران والمسافرين معظم احاديثهن. فكيف لها ان تدعي الجهل في هذا الميدان الذي غابت عنه طويلاً لتجد نفسها غارقة فيه من جديد وكأن السنوات الثلاث لم تكن... لحسن الحظ صدف ان للفتيات اهتمامات مشتركة الامر الذي اتاح للين تغيير موضوع الطيران لأن الخوض فيه بالنسبة اليها حقل الغام. وهكذا اثمرت نزهة السوق هذه نجاحاً جديداً وخطوة اساسية على درب الوصول الى بيرت داين، فأي معلومات عن الاشخاص المحيطين به قد تكون مفيدة في هذا المجال. علمت مثلا ان اثنتين من المضيفات على علاقة مع طيارين من شركة اخرى ولا تخرجان مع سائر افراد الطاقم الا في مناسبات خاصة جداً. لذا صار بوسع لين اسقاطهما من حسابها لأنهما لن تفيداها بشيء. كما اطلعت على المسار الكامل للرحلة، فبعد ثلاثة ايام في سنغافورة يستقل الطاقم الطائرة الى جاكارتا عاصمة اندونيسيا، ومنها الى بالي حيث يبيتون

ليلتهم قبل ان يعودوا الى سنغافورة لاثنين وسبعين ساعة جديدة تسبق رحلة الاياب الى لندن.

انحشرت الفتيات في سيارة تاكسي عادت بهن الى الفندق. وفي البهو علا صخبهن وهن يتقاسمن العلب المشتراة من السوق حين اقترب منهن رجلان. ورفعت لين عينيها لترى نفسها وجهاً لوجه مع بيرت راين فتهربت من نظراته متحدثة الى جوليا.

تكلم الشاب الثاني الذي لم يكن سوى احد افراد الطاقم:

« ماذا تفعلن بكل هذه الملابس؟ لا بد ان لديكن متاجر في انكلترا لتستوعب كل ما تشترونه هنا.»

تولت جوليا الدفاع عن رفيقاتها:

«لا تقلق فنحن نعي ما نفعل.»

مشت جوليا نحو المصعد وتبعتها لين التي حاولت التركيز على الثياب المشتراة هرباً من بيرت لكن الفتاتين توقفتا حين قال بيرت لجوليا:

«يبدو انك وجدت صديقة جديدة.»

استدارت المضيفة وقالت معتذرة:

«نسيت ان اعرفكما بنيتا لويس. نيتا، هذا طيارنا بيرت داين ومهندس الطيران جون ريز.»

وجدت لين نفسها امام عيني بيرت الفضوليتين ترمقانها بنظرات الاعجاب والتفحص، فابتسمت له ولرفيقه الأكبر سناً بسرعة وقالت:

«تشرفت بمعرفتكما.»

لمحت الفتاة شيئاً من المفاجأة في عيني بيرت الذي ما لبث ان تقدم منها مقترحاً:

«اسمحي لي بمساعدتك في حمل هذه الاغراض.»

رفضت لين عرضه بتهذيب:

«شكراً، استطيع تدبر الامر وحدي.»

ومن جديد مرت الدهشة في عيني بيرت الذي سأل:

«اظن اني رأيتك قبل الآن. في اي شركة طيران تعملين؟»

«انا لست مضيفة يا سيد داين بل أقطن هنا في سنغافورة.»

وصل المصعد فدخله الجميع وقالت جوليا:

«ما هي مشاريعك المسائية يا نيتا؟ نحن سنسهر في النادي الليلي التابع للفندق ونرحب بوجودك معنا.»

وافقت لين بعد تردد مزعوم:

«لا يسعني الا الموافقة على اقتراحك.»

بلغ المصعد الطبقة السابعة فتوجه بيرت وجون الى غرفتيهما بعد كلمات الوداع التقليدية وبعد ان اكد بيرت:«سوف نراك في المساء إذن يا آنسة لويس.»

وما ان اغلق الباب حتى انفجرت المضيفات الاربع ضاحكات وقالت جوليا:

«لم يستطع بيرت إخفاء اعجابه هذه المرة، لقد استطعت ببرودك اثارة اهتمامه يا نيتا.»

اعترضت لين متظاهرة بأن كرامتها مست:

www.liilas.com

«من اين تأتين بهذه الافكار؟»

«كنت واثقة من ان بيرت سيحاول شيئاً ما عندما يشاهدك ويتعرف إليك.»

«جوليا! سبق وبلغتك اني اقفلت قلبي حتى اشعار آخر.»

علقت احدى الفتيات على كلامها:

«كلامك نظريّ بحت لأنني لا اتصور امرأة في العالم تقوى على صد بيرت اذا عقد العزم على غزو قلبها.»

تولت جوليا التعقيب على قول زميلتها:

«فلنأمل ان تستطيع نيتا تحطيم غرور طيارنا وخرق جدار تعجرفه.»

وفيما همت لين بالخروج من المصعد لتتوجه الى غرفتها سمعت احداهن تقول:

«لا اظن ان املك هذا يا جوليا قابل للتحقيق.»

صرفت لين وقتاً طويلاً في انتقاء الملابس المناسبة للسهرة مع بيرت واصحابه، كما استعملت احسن أدوات الزينة للتبرج، وهو فن تعلمت اصوله على يد ماغي كليرمونت. وأخيراً وقفت تنظر الى نفسها في المرآة حيث انعكست صورة ثوبها الاخضر الناعم ذي الياقة المفتوحة العريضة. اعجبت لين بمظهرها الرفيع الذي زاده ارستقراطية الشعر المرفوع عن الجبين الناصع.

لم تنزل لين الا بعد نصف ساعة من الموعد المضروب وذلك لأن التأخر دليل أهمية ولجعل بيرت يتحرق

للقائها. دخلت النادي وشعرها الذهبي يلمع كهالة سحرية تحت الاضواء المتلألئة المتراقصة على الجدران وعلى ارض باحة الرقص. اومأت لها جوليا بيدها فاتجهت نحو الطاولة حيث جلس معظم افراد طاقم الطائرة. وما ان وصلت حتى نهض الرجال الخمسة لتحيتها واشار بيرت الى كرسي لتجلس الى جانبه. بعد تعريف لين الى مساعد الطيار والمضيفين الآخرين قال بيرت:

«ارجو ان تستمعتي بوقتك معنا.»

بعد ذلك غرقت لين في حديث طويل مع الفتاة الجالسة الى جانبها حتى كادت تنسى بيرت لا بل ادارت له ظهرها. وانتظر الرجل الفرصة المناسبة ليسترعي انتباهها وبدء محادثة معها.

«قيل لي انك تعملين مدرسة هنا.»

«هذا صحيح يا سيد داين فأنا ادرس الفرنسية.»

«كم مضى عليك في هذه البلاد؟»

«بضعة اسابيع فقط.»

كلما تكلمت لين كانت تلاحظ ان امراً يحير بيرت وكأنه يعرف هذا الصوت. في هذا الوقت بدأت الفرقة بعزف موسيقى ناعمة فوضع بيرت يده على يدها مقترحاً:

«اتسمحين لي بهذه الرقصة؟»

احست لين بالحقد يملأ قلبها عندما لامسها بيرت واستطاعت الرفض بهدوء:

«لنرجىء ذلك الآن.»

وانشغلت بالتحدث الى جوليا تاركة الرجل خائباً.

وشيئاً فشيئاً بدأ الجالسون ينهضون الى الحلبة فخشيت لين ان ينهض الجميع وتبقى وحيدة مع غريمها، غير ان هذا لم يحصل لحسن الحظ.

لبت لين دعوة للرقص مع احد المضيفين، وكان وسيماً لطيفاً لكنها رفضت بحزم دعوة للخروج معه مساء اليوم التالي. وعندما انتهت الرقصة وعادا الى المائدة قال المضيف لبيرت:

«ها انا اعيدها اليك يا كابتن.»

علت الحمرة وجنتي لين وشعرت بارتباك لم يخرجها منه سوى تدخل جوليا المتفهمة وفتحها موضوع حديث جديد.

راقصت لين الرجال الاربعة باستثناء بيرت الذي كرر الدعوة فلم تستطع رفضها تهذيباً خاصة وان الامر سهل نسبياً كون الرقصة سريعة الايقاع لا تضطرها الى الالتصاق به.انتهت الموسيقى فتنفست لين الصعداء. واستعدت للعودة الى مكانها لكن بيرت شدها اليه لرقصة بطيئة ناعمة هذه المرة. تجمدت الفتاة بين ذراعيه فتولى قيادة الرقص واضعاً يداً في يدها والاخرى حول خصرها، فأحست انها ستصاب بالاغماء وهي تعيد الذكريات في مخيلتها، وراحت ترتجف وترتعش حتى انها لم تسمع ما قاله بيرت فاستوضحت:

«آسفة يا سيد داين، لم اسمع ما قلت.»

علق بيرت ساخراً:

«لماذا تتصرفين معي بشيء من التحفظ يا آنسة لويس؟»

«رأيت انه من التهذيب واللياقة عدم مناداتك باسمك منذ اللقاء الاول.»

ازاء عبوسه اضافت:

«يبدو انك لا توافق على رأيي.»

تردد بيرت طويلاً ثم قال:

«هناك شيء ما يثير الحيرة في نفسي فأنا واثق من اني سمعت صوتك قبل الآن.»

www.liilas.com

الفصل الرابع

تجمد الدم في عروق لين فهي حسبت حساب كل شيء الا صوتها، وتمنت ان تستطيع اقناع بيرتكي لا يتعرف اليها من خلاله. ما العمل الآن اذ لا سبيل الى تبديل الصوت؟ وبيأس حاولت ان تسأل بنبرة طبيعية:

«اليست هذه طريقة لتقول انك رأيتني قبل الآن؟ لكنك طرحت علي هذا السؤال واجبتك بالنفي.»

رمقها الرجل بنظرة قاسية وقال:

«لا اعلم لماذا تعاملينني بهذه الطريقة.»

بنبرة خافتة اوضحت الفتاة:

«سمعتك هي السبب يا كابتن داين، فانا اخشى الاقتراب من الذئاب.»

« اتخافين على نفسك من الالتهام؟»

«ما رأيك بالعودة الى بقية الجالسين؟»

عاد الاثنان الى الطاولة ونظرات الجميع منصبة عليهما بفضول. ازاء ذلك بذلت لين المستطاع لتخفي مشاعرها وتتابع السهرة بهدوء اما بيرت فجلس يشعل السيكارة تلو الاخرى.

لم تنته السهرة الا في حوالى الواحدة فجراً، وعادت لين الى غرفتها منهوكة القوى فارتمت على سريرها

وغفت قبل ان يتاح لها تبديل ملابسها.

لم تستيقظ باكراً في الصباح التالي لانه يوم عطلة، ولولا رنين الهاتف لاستمرت مستلقية في فراشها حتى الظهر. هبت من سريرها مذعورة لتذكرها أيام السجن حيث كان الجرس جزءاً اساسياً من الحياة اليومية. التقطت السماعة وقالت:

«نعم.»

على الخط الآخر كان صوت بيرت:

«انا الذئب الكاسر.»

«آه، هذا انت.»

«ما رأيك بتمضية يوم كامل معي على متن زورق شراعي صغير؟»

أجابت الفتاة باختصار:

«رأيي مخالف لرأيك.»

تابع بيرت باصرار:

«فلننضم اذن الى بقية افراد الطاقم لممارسة كرة المضرب والسباحة في النادي الرياضي.»

فكرت لين في الأمر وسألت:

«هل سيكون الجميع هناك؟»

«نعم.»

«سأفكر في الامر.»

قال بيرت ضاحكاً:

«يا لك من فتاة ماكرة! اتصلي بغرفة جوليا واسأليها. سأكون في البهو بعد حوالى الساعة.»

www.liilas.com

اتصلت لين بجوليا التي قالت بمرح:
«لقد تلقينا امراً من بيرت بوجوب لعب كرة المضرب اليوم. ماذا فعلت به يا نيتا فهو لا يتصرف هكذا عادة ولا يقترح برامج للتسلية؟ لا بد انه فهم تحديك وماض في اللعبة.»
«لكني لم اظهر تجاهه اي تحد.»
«الا تعتبرين رفضك مراقصته تحدياً؟ وكذلك عودتك من الحلبة في منتصف الرقصة. بيرت داين لم يلق هكذا معاملة من اي فتاة غيرك، لذا ستكون المواجة بينكما عنيفة.»
لاحظت لين نبرة هازئة في كلام جوليا وكأن هذه الاخيرة خبرت طباع بيرت عن كثب في مغامرة عاطفية فاشلة، لذلك اكدت لها مرة جديدة:
«صدقيني اني مصممة على عدم التورط مع بيرت او مع غيره.»
«الن تأتي معنا الى النادي إذن؟»
«سآتي لأني لا استسيغ الوحدة في هذا المكان.»
كانوا ثمانية توجهوا بسيارتي اجرة الى النادي، وحرصت لين على الا تصعد في السيارة نفسها مع بيرت. وعندما وصلوا وجدت لين ان كرم بيرت لم يقتصر على استئجار ملعب كرة المضرب بل جاوزه الى حد استئجار غرفة لابدال الملابس والاستحمام. وخلال اللعب استعملت لين المهارات التي اكتسبتها ايام المدرسة وان يكن ذلك لم يمنع خسارتها

في مباراة الزوجي المختلط التي لعبتها مع احد المضيفين ضد جوليا وجون ريز. بعد ذلك جلست في ظل احدى شجرات النخيل تشاهد بيرت يلعب بمهارة وقوة وكأنه لم يفقد شيئاً من لياقته في السنوات الثلاث المنصرمة. وكيف يفقدها وهو يتمرن باستمرار ويعيش حياة مريحة حلوة؟ اما الغريب الجديد في حياته هي سمعته، يتنقل من واحدة الى اخرى، وهي لم تعهده كذلك من قبل بل على العكس كان معروفاً بصرامته وجديته.
أنهى بيرت مباراته فالتقط منشفة يمسح بها وجهه وتوجه الى بقية الجالسين وأمام عيني لين شرب ماء بارداً وحبيبات العرق تلمع على جبينه وذراعيه القويتين وصدره العريض. لمحها بيرت تنظر اليه فابتسم بدهاء وكأنه يعلم ما في نفسها. اجفلت لين من نظرته وادركت فجأة ان ما وجدته مختلفاً فيه هو هذه النظرة التهكمية. صفة لم يكن يملكها من قبل او لم ترها لأن الحب اعمى بصيرتها، اما الآن فالكره صار يريها اشياء جديدة ويفتح عينيها على نواقص خفية.
تمدد بيرت على العشب بجانبها وسألها:
«اترغبين بلعب مباراة اخرى؟»
«مباراة واحدة تكفي في هذا الحر القاتل.»
«اذ كنت تبحثين عن البرودة فنزهة معي في حدائق النادي هي الجواب.»

www.liilromancia.com

«لا شكراً، انا مرتاحة هنا.»

بثقة وعزم اكد بيرت:«يوماً ما ستتحول لاوْك الى نعم.»

«اشك في ذلك.»

لم يعلق بيرت على ذلك قولا بل فعلا، فامسك بيدها وأخذ يداعب انامِلها الطرية، وحين حاولت الافلات من قبضته رفع يدها الى فمه وقبلها بنعومة ثم قال:«لا تحاولي تجاهلي يا نيتا، فكلانا يعلم ان الاعجاب بيننا متبادل.»

رمقته بنظرة حائرة فلم يستطع تمالك نفسه من الضحك متمتعاً بسيطرته عليها وامساكه بزمام التلاعب بمشاعرها.

ارتدى الجميع ملابس السباحة للانتعاش بمياه الحوض. وكانت لين الوحيدة بين الفتيات التي ارتدت لباس بحر محتشم جداً، كما كانت الوحيدة التي رفضت السباحة خوفاً من وقوع العدستين اللاصقتين من عينيها. فتمددت قرب الحوض تحت الشمس اللاهبة تزيد بشرتها سمرة ذهبية.

وما هي الا دقائق حتى خرج بيرت من الماء ووقف قرب لين المغمضة العينين، فترك بعض حبيبات الماء تسقط عليها كي تنظر اليه وعلامات الانزعاج التي تعلو وجهها تجعله يضحك.

«لماذا لا تسبحين قليلاً بدل النوم على حافة الحوض يا حلوتي؟»

لم تجد الفتاة جواباً سوى تلفيق اكذوبة:

«لأنني لا اجيد السباحة.»

«سأعلمك اصولها في دقائق.»

رفعت لين حاجبيها علامة الرفض.

«الا تثقين بي البتة؟»

«أحسنت.»

«انت مخطئة بحقي يا نيتا، فمعي ستشعرين بالأمان والاطمئنان.»

علمت لين من نعومة نبرته انه لا يعني السباحة بل شيئاً مغايراً تماماً. وبعد ثوان قالت وكأنها لم تفهم قصده:

«لا أود ازعاجك بتعليمي السباحة.»

«لا ازعاج مطلقاً فأنا واثق من ا نك تلميذة ذكية ومتجاوبة.»

«دروسك لن تنفع ما دمت ستقطعها بسبب رحلاتك.»

ليس بيرت من النوع الذي يستسلم بسهولة فهو يجد لكل حجة رداً.

«اذا كنت لا تقدرين على انتظاري فباستطاعتك تكرار ما القنك اياه خلال وجودي هنا، وهكذا تجدين ما يشغلك اثناء غيابي.»

«قلت لك ان لا اجيد السباحة ولا ابغي تعلمها.»

إثر ذلك ادارت وجهها الى ناحية اخرى فتركها الرجل وعاد الى المياه.

لم يسمع بيرت غير كلمة لا من لين جواباً على دعواته المختلفة فهي رفضت دعوة الى العشاء في المساء نفسه، ودعوة الى نزهة صباحية في حدائق مدينة بازير بانجانغ، كما ردت بشكل قاطع اقتراحاً بالسفر الى جزيرة بالي لتمضية يومين مع افراد الطاقم والعودة الى سنغافورة.

رافقت لين جوليا والباقين الى المطار وهي تتساءل متى سيتاح لها وضع الممنوعات في حقيبة بيرت. وهذا الامر لن يحصل بسرعة بالطبع، فهي خطوة خطيرة تحتاج الى الكثير من الدقة والعناية. وما ذهابها الى المطار سوى جزء من التحضير للضربة الكبرى.

تمنت لين للجميع سفرة ممتعة تحت انظار بيرت الغاضبة والتي لا صعوبة في ادراك مغزاها كونه لم يتوصل معها الى شيء مرضٍ حتى الآن. وكان توجهها الى المطار فرصة للتعرف على المضيف الأول طوني ترانت الذي لم تره من قبل لارتباطاته الكثيرة، وألفته شاباً وسيماً مرحاً لا يكف عن ممازحة زملائه واضفاء البهجة على جو العمل.

عادت لين الى الفندق حيث استلمت باقة كبيرة من الازهار علمت من ارسلها دونما حاجة لقراءة البطاقة. فهي محاولة جديدة من بيرت لكسب ودها، ولين لا تمانع في ذلك لأن التقرب منه هدف مجيئها الى هذه البلاد، لكنها لم تقرر بعد متى توهمه بأنها

وقعت في هيامه. فهذا الامر يتطلب اخراجاً ناجحاً حتى يصل بيرت معها الى نقطة اللاعودة. ثم تسهل معرفة نشاطاته، فإذا كان يمارس التهريب ابلغت عنه، واذا انقطع عن ذلك دست له ما يكفي لجعله يمضي اجازة طويلة في السجن.

والخطة التي رسمتها في لندن تقضي بمماشاة طباع بيرت اي التروي في بناء العلاقات العاطفية وعدم الانسياق وراء العواطف، وهو مبدأ لطالما شدد عليه عندما كانت الاحوال بينهما على خير ما يرام، غير انه صار الآن مختلفاً فهو يصر ويلح ويستعجل الأمور ليحقق مبتغاه، لذا اصبحت لين خائفة من انها ستخسره وتجعله ينفر منها اذا استمرت في صده ورفض دعواته. ومن جهة اخرى فهي ليست على استعداد للاستجابة لمطالبه، فاذا قبلت بمجرد الخروج معه سيجر ذلك التنازل تلو الآخر حتى ينتهي بها الأمر في احضانه، وهي معاناة اين منها عذابها في السجن. فلين لا تتصور نفسها مستسلمة لهذا الرجل الذي تكن له حقداً لا يوصف، وآثار اصابعه لما لامست يدها وبصمات شفتيه لما حرقت انامله ما تزال تثير في نفسها السخط حتى الآن، فكيف ستوافق على الخروج معه؟ لا! هذا التصور من المستحيلات، فالافضل الآن ابقاء الأمور على ما هي وانتظار خطوات بيرت. وما ارسال الزهور بعد الخيبة سوى دليل قوي على انه لم يستسلم بعد وينوي الاستمرار

في ملاحقتها، وهي مستعدة لذلك معتمدة على حدسها مرشداً يدلها على الطريق الواجب سلوكه.
تلقت لين زهوراً جديدة في اليوم التالي وكأن بيرت يريد اشعارها بأنه ليس غائباً ورعايته لها مستمرة.
وفي المساء اتصل بها هاتفياً فور وصوله الى مطار سنغافورة عائداً من بالي، ورفضت لين دعوة لتناول العشاء في احد المطاعم الفخمة لارتباطها بموعد آخر. وهي بالفعل مدعوة الى حفل صغير في منزل احد زملائها المدرسين، غير انها لم تقل ذلك لبيرت.
لا شك في ان بيرت رجل عنيد جداً، فلما عادت لين من سهرتها وجدته ينتظرها في بهو الفندق.
«مساء الخير يا نيتا. هلمي نشرب شيئاً قبل النوم.»
اضاف متهكماً ازاء ترددها :
«لا تخافي فهناك الكثيرون في المطعم ولن استطيع افتراسك بوجودهم.»
«حسناً.»
امسك بيرت يدها وتوجها الى طاولة شاغرة حيث طلب كوبين من عصير البرتقال بعد ان اشعل سيكارته التي لا تفارقه.
«هل كانت سهرتك ممتعة؟»
اجابت لين بكل لياقة:«نعم، شكراً.»
بدا الانزعاج واضحاً على بيرت من هذا الجدار الجليدي الذي تحيط لين به نفسها، فهو لم يتمكن حتى الآن من اختراقه والنفاذ الى قلبها. ومع ذلك

ظل يحادثها مصمماً على عدم التراجع او الاستسلام.
جلست لين حيال ذلك كمتفرج يشاهد مسرحية لا تعنيه الا عند الحاجة. فتضحك عند اللزوم وتبتسم حيث تدعو الحاجة... اقترح بيرت الخروج للتنزه في الحديقة بعد ان افرغا كوبيهما، وقرأت لين بريق النصر يلوح في ناظريه عندما وافقت على الفكرة.
وقفا في باحة واسعة على طرف الحديقة ونظرا الى الاضواء المتلالئة في المرفأ حيث ارتفعت صواري السفن الضخمة وحيث ومضت انوار عربات التلفريك المتنقلة في الهواء بين الجبال.
«هل جربت الصعود في التلفريك؟»
اجابت لين:«لا، ولكنني انوي ذلك قريباً برفقة جوليا والفتيات.»
«ولماذا لا تذهبين معي؟»
طوق خصرها بذراعه فالتفتت اليه لتواجهه ثم اضاف وعيناه تشعان رغبة وحرارة:
«انت جميلة يا نيتا، انت رائعة الجمال. لكن تصرفك الغامض يثير جنوني. لا تفعلي ذلك بعد الآن، لا تحاولي اغاظتي. وأنا واثق من اننا سنمضي اوقاتاً جميلة معاً.»
ارتعدت من الذكرى التي حركت الجرح العميق في نفسها. بيد ان بيرت فهم الارتجاف على طريقته فمضى في اللعبة ولم يتوقف الا عندما لاحظ عدم تجاوبها.

www.liilromancia.com

رفعت الفتاة رأسها وقالت بصوت جليدي:

«انت مخطىء يا بيرت. أنا لا احاول اغاظتك لمجرد اللعب والتسلية. لقد رفضتك ولا رجوع عن رفضي، فأنا لن أدخل حياتك اتظن ان بزتك الانيقة ووسامتك تكفيان لجعلي استسلم لاغوائك؟ لا يا عزيزي لن تنجح في ضمي الى قائمة ضحاياك فأنا املك من الصلابة ما يقاوم الاعصار!»

تحررت من عناقه وقفلت عائدة الى الفندق تاركة اياه يحدق فيها مشدوهاً لا يدري ما يقول او يفعل.

* * *

امضت لين الصباح في غرفتها ولم تخرج الا بعد الظهر الى السوق برفقة جوليا. وهناك سألتها المضيفة:

«ماذا حصل بينك وبين بيرت في الأمس؟ فهو بدا في مزاج عكر اليوم ولم يوفر احداً من سخطه متهماً ايانا بطعنه في الظهر وتشويه سمعته امام الناس.»

«كل ما حصل اني افهمته موقفي وعدم اكتراثي له.»

لم ترض جوليا بهذا التفسير المقتضب فاضطرت لين الى اعطائها كل التفاصيل.

«آسفة اني كنت سبب الشجار بينكم وبينه يا جوليا.»

«لا حاجة للأسف فانا اتمتع كثيراً بما يجري واتحرق الآن لمعرفة ما سيفعله بيرت بعد الصدمة التي اصابته للمرة الأولى في حياته.»

شاطرتها لين هذا الشعور بدون ان تفصح عنه لكنها

لم تر لبيرت وجهاً في ذلك المساء ولا في اليوم الذي تلا فخشيت ان يكون قد افلت من يديها لأنها تمادت في صده. وفي اليوم الثالث والأخير قبل العودة الى لندن التقى الجميع مرة جديدة في النادي للعب كرة المضرب، اكتفى بيرت بتحيتها من دون ان يحاول التحدث اليها في حين تصرف الآخرون بشكل طبيعي. غير ان الجو كان مشحوناً والتوتر يسود تصرفات الجميع.

اتى وقت السباحة فجلست لين كالعادة على حافة الحوض الى ان غلبها الحر فدخلت الغرفة للاستحمام بمياه باردة ترطب بها جسمها. وما ان انتهت من ذلك، حتى سمعت باب الغرفة يفتح فلفت نفسها بمنشفة تحسباً متوقعة دخول جوليا. التفتت لتجد بيرت واقفاً في وسط الغرفة ونقاط الماء تسقط من جسمه العريض المفتول العضلات. وعلى الفور صاحت لين وهي تشد المنشفة اكثر:

«الم تتعلم طرق الابواب قبل الدخول؟»

«اعتذر، جئت لآخذ منشفة جوليا.»

اجال نظره في الغرفة وسأل:

«اين منشفتها؟»

«تلك الزرقاء الموضوعة على الطاولة، خذها واخرج من هنا!»

« لن اخرج قبل ان انهي ما جئت من اجله.»

اقترب منها والغضب يتطاير من عينيه، فأدارت

لين ظهرها وقلبها يخفق بعنف من هول اللحظات التالية.

«نيتا.»

شعرت لين بلهاثه يلفح شعرها وحرارة جسمه تقترب منها الى ان وضع يديه على كتفيها فصاحت:

«لا.»

لكن صيحتها لم تلق اذاناً صاغية، اذ اكمل بيرت قائلاً:

«حبيبتي نيتا! لو تعلمين مقدار رغبتي وشغفي بك.»

تابعت الفتاة المقاومة عبثاً فهمس بصوت متهدج:

«لا تزعمي المقاومة فانت تبادلينني الشعور عينه.»

«دعني وشأني.»

قالت لين ذلك برعب وحقد ظاهرين ألحقتها بصفعة قوية على خده آلمت يدها. تراجع بيرت قليلاً فافلتت منه وصاحت بصوت يقرب من الهستيريا:

«أغرب عن وجهي ايها الوقح.»

كلمات اثارت في الرجل المجروح سخطاً ممزوجاً بالذهول، ولما حاول الكلام سبقته لين:

«الرجال كلهم سواسية لا يفكرون الا في نيل مآربهم الحقيرة.»

«فهمت عقدتك الآن يا آنسة! لا شك انك خضت مغامرة عاطفية فاشلة وتخافين من اعادة الكرة. لكنني على اقتناع ان النساء يشاطرن في ايامنا الرجال في البحث عن المآرب التي تلمحين اليها...»

قاطعته الفتاة بحدة:«تكهناتك خاطئة فأنا لم اخض اي مغامرة فاشلة.»

علق بيرت على ذلك بسخرية تقرب من الازدراء:

«حسناً، فلنسمها علاقة حب عميقة.»

«لا تختلق اوهاماً تغطي فشلك معي.»

دفع الغضب بيرت الى القول:

«لماذا قلت لجوليا اذن انك لن ترتبطي بأي رجل الآن؟ التفسير المنطقي الوحيد لذلك هو مرورك بتجربة مخيبة.»

حدقت لين فيه وفكرها يعمل على ايجاد رد فعل مقنع، فاعطته جواباً فيه جزء من الحقيقة:

«موقفي نابع من عقلية الرجال الذين يسعون الى الايقاع بالانثى المسكينة للضحك عليها ثم رميها في سلة المهملات. امثالك لا يهتمون بالمبادىء والمثل العليا، ولا يؤمنون بالحب السامي الذي يعرف الانتظار.»

توقفت عن الكلام متنهدة ثم اضافت بمرارة:

«لا فائدة من كل ذلك، ارجوك اخرج من هنا.»

«ماذا تعنين بكلامك هذا؟»

«لا شيء! اخرج من الغرفة لأستطيع ارتداء ملابسي.»

«فهمت من كلامك انك ... انك ... !»

لم تقو لين على الكلام بل صرخت بصوت متهدج والدموع تترقرق في عينيها.

«اخرج من هنا.»

تركها بيرت بهدوء قبل ان يلتقط منشفة جوليا ويخرج مغلقاً الباب وراءه بصفقة كادت تحطمه.

اسندت لين ظهرها الى الجدار البارد مغمضة عينيها وافكارها في حالة بلبلة تامة. هل هدمت بصفعه كل ما شيدته حتى الآن؟ هل ذهب تعبها ادراج الرياح؟ لكنها لم تستطع تحمل رؤيته يلامسها كان لا بد من ايقافه عند حدّ وان يكن الثمن فشل خطة الثأر.

ارتدت ثيابها وسرحت شعرها ثم خرجت من الغرفة بعد تردد طويل خوفاً من مواجهة الآخرين الذين قد يكونون سمعوا ما دار في الداخل،واذا لم يسمعوا سيحسبون ان الامور سارت حسنة بينهما.

شعرت الفتاة وهي في طريقها الى كرسيها قرب الحوض انها تمشي بين جدران السجن الحزينة لترمى وراء القضبان من جديد. ويا لشدة فرحها عندما رأت ان بيرت والرجال الآخرين ليسوا هناك بل توجهوا الى المقهى لتناول المرطبات. جلست مع الفتيات وسرعان ما سألتها جوليا:

«لماذا تشاجرتما؟»

«أكان صراخنا مسموعاً؟»

«صراخك ملأ النادي كله.»

«لا شك انك ارسلته ليحضر منشفتك عمداً يا جوليا.»

«هذا صحيح اردت تحريك اللعبة الجامدة لأننا راحلون غداً.»

«وقد نجحت تماماً في ذلك.»

سألت احدى الفتيات:

«ماذا حصل بالضبط؟»

«لا ضرورة للدخول في التفاصيل اذ يكفي القول ان احداً لن يرى بيرت بعد اليوم يجرؤ على التحدث الي.»

وبالفعل لما عاد الرجال كان بيرت متجهماً بالكاد يرد على سؤال، واستعجل الجميع للعودة الى الفندق حيث اختفى في غرفته ولم يشارك في السهرة التي دعا اليها جون ريز اصحابه في النادي الليلي.

ظل بيرت على هذا المزاج عندما ودعت لين اصدقاءها العائدين الى لندن ظهر اليوم التالي، وآثرت عدم التوجه معهم الى المطار تفادياً للاحراج.

وصل الباص فقالت جوليا:

«نراك بخير بعد عشرة ايام يا نيتا.»

بادلها الجميع تحيات الوداع باستثناء بيرت الذي اكتفى برمقها بنظرة غامضة من نافذة الباص الذي ما لبث ان غاب عن انظارها في طريقه الى المطار.

الفصل الخامس

عاشت لين عشرة أيام في قلق الانتظار.
ذبلت الزهور من حرارة سنغافورة، ولم يرسل بيرت غيرها. ومع ذبول الازهار خافت لين على ذبول جهودها وضياع آمالها سدى.
في اليوم العاشر لم تستطع الفتاة التواجد في الفندق اذ كان عليها الحلول محل احدى المدرسات الغائبات لكل فترة بعد الظهر. وعندما عادت الى الفندق في المساء فكرت في الاتصال بغرفة جوليا، لكنها فضلت تأجيل ذلك فاستحمت وارتدت ثيابها استعداداً للنزول. وما ان همت بالخروج حتى سمعت طرقاً، ففتحت الباب لتجد بيرت واقفاً ببزة العمل السوداء، فحاولت اقفاله لكنه منعها ودخل عنوة قائلاً:
«أود التحدث اليك.»
حدقت الفتاة فيه والخوف يملأ قلبها من قساوة ملامحه كأنه اكتشف الحقيقة وجاء ليصفي حساباته. حاولت الكلام عبثاً فاكتفت بالنظر اليه وهو يمشي في الغرفة صامتاً تخونه العبارات، فالاثنان في موقف حرج وان يكن لكل منهما اسبابه.

ارتبكت وسألت بصوت تخنقه البحة:«ماذا تريد؟»
«ستشاركينني العشاء الليلة.»
على الفور غمرها شعور بالارتياح فادارت وجهها لئلا يلاحظ ذلك، وبالفعل اعتقد بيرت رد فعلها دليل غضب فقال:
«لا وجوب للخوف لأني لن أحاول معك شيئاً بعد الآن.»
مارست لين الكثير من ضبط الاعصاب لتستطيع مواجهته بوجه هادىء:
«لم افهم قصدك يا سيد داين.»
«اعدك بالتصرف تصرفاً لائقاً.»
اعملت الفتاة ذكاءها لتفهم موقفه الجديد وتعمل على تحويله لصالح خطتها فسألت:
«ما سر هذا الانقلاب؟»
بدت علامات نفاد الصبر على بيرت فأجاب:
«لا ضرورة لمناقشة ذلك الآن. كل ما في الامر ان فترة غيابي عنك كانت قاسية وادركت انني ارغب برؤيتك. ها انا الآن امامك ومستعد لتنفيذ شروطك.»
«لا اذكر اني وضعت شروطاً معينة.»
«لم تضعينها صراحة، لكني فهمتها من خلال تصرفاتك ومواقفك.»
اطرقت لين تفكر بالأمر ثم توجهت الى المرآة والتقطت فرشاة الشعر محاولة اظهار عدم الاكتراث، لكنها ما لبثت ان التفتت اليه سائلة:

www.elromancia.com

«كيف يمكنني ان اثق بك؟»

«لقد وعدتك.»

وأضاف لما رأى انها غير مقتنعة تماماً:

«اذا لم تكفك الكلمة يبقى عليك اختباري لتلمسي مدى مصداقيتي.»

اهانته لين بصمتها فالصمت يكون احياناً جارحاً اكثر من الكلمة، واخيراً قالت:

«دعني أفكر بالأمر جيداً.»

اقترب منها وامسك بكتفيها قائلاً:

«لن اسمح بالتردد مطلقاً. عليك ان تأخذي موقفاً واضحاً في هذه اللحظة. هل تريدين الخروج معي الليلة ام لا؟»

علمت لين ان الاجابة على هذا السؤال تتعدى اطار جلسة عشاء، ففي الامر قبول ببيرت او رفضه. وهي لا تملك سوى خيار وحيد فان رفضت خسرته الى الابد وان قبلت دعوته علقت في شباكه وعلقته في شباك مخططها.

رفعت عينيها الى وجهه الجامد وأجابت بنبرة مرتجفة:

«حسناً، سألبي دعوتك.»

ترك كتفيها راضياً مسروراً بخضوعها ولو لمرة، عالماً انها الخطوة الاولى على طريق غزو قلبها الحصين المقفل.

«سأمر لاصطحابك في السابعة اذن. ارتدي ثياباً

أنيقة لأني تواق الى الجمال يا آنستي الحلوة.»

تركها بيرت في حيرة من امرها فهي لم تكن تتوقع منه كل هذا العناد، ولم تكن تعلم ان مواجهته صعبة وقاسية. لقد قطعت شوطاً كبيراً في خطتها ولم يعد بوسعها التراجع. لم تتراجع الآن؟ ألم يسر كل شيء حسب مرادها؟ بلى، ولكنها خائفة من المجهول على عتبة مرحلة خطيرة.

انتقت ثوباً اسود طويلاً، واعادت تصفيف شعرها وتزيين وجهها بما يناسب السهرة. انتظرت مجيئه بعصبية كمراهقة تخرج مع شاب للمرة الاولى. في السابعة الا عشر دقائق رن جرس الهاتف وكانت جوليا.

«كيف حالك يا نيتا؟»

«بشوق اليك يا عزيزتي.»

«ما رأيك بتمضية السهرة معنا في النادي الليلي؟»

«كنت اود ذلك غير اني مرتبطة بموعد سابق.»

«سنسهر في الغد اذن.»

«لا استطيع الجزم منذ الآن، سنتفق على الامر غداً.»

«يبدو انك خارجة مع شخص مهم الليلة يا نيتا.»

«اصبت.»

انهت لين المحادثة قبل ان تطرح جوليا المزيد من الاسئلة الفضولية وتكتشف الحقيقة.

في تمام السابعة حضر بيرت ولم تفتح لين الباب الا بعد جعله ينتظر دقيقتين لتظهر قلة اهتمامها

بالموضوع. اطل بقامته مرتدياً بزة سوداء وقميصاً ابيض يتناقض لونه مع بشرته الشديدة السمرة. لم يلق بيرت عبارات التحية التقليدية بل اكتفى بالنظر اليها قائلاً:

«تبدين جميلة جداً الليلة.»

وبنبرة من يؤدي واجباً قالت لين:

«شكراً.»

«هل انت جاهزة؟»

«نعم.»

في المصعد وضع يده في يدها ولما خرجا منه الى بهو الفندق استرعيا انتباه عيون كثيرة، فهما ثنائي رائع وان من حيث تلاؤم الشكل فحسب، لان الطباع مختلفة تمام الاختلاف. نظرت لين في احدى المرايا الكبيرة المعلقة على الجدران فاعجبت فعلاً بنفسها. فاجأها بيرت باصطحابها الى حفلة موسيقية كبيرة قدمتها فرقة سنغافورة السمفونية التي عزفت مقطوعات بديعة لأشهر الموسيقيين مثل بيتهوفن وباخ وشوبان. لكن لين المعجبة بالموسيقى الكلاسيكية لم تتمتع بالاداء كثيراً لان فكرها كان شارداً في أمور اخرى بعيدة كل البعد عن الفن وعذوبة الالحان. وبيرت بدوره بدا متشنجاً وصاباً اهتمامه على لين اكثر منه على العازفين.

بعد الحفلة الموسيقية توجها الى مطعم في شارع البرت وهو معروف بتقديم الطعام الجيد والشهي.

وهنا ايضاً لم تستطع الفتاة الانسجام وبالكاد مست الطعام الكثير والمتنوع الذي وضع امامها. وخلال العشاء حدثها بيرت عن البلدان التي زارها بسبب عمله وكان من الطبيعي ان يذكر ميامي التي لها فيها الف ذكرى وذكرى.

حان وقت العودة الى الفندق فاستدعى بيرت سيارة اجرة. وفي الطريق عندما حاول وضع يده على كتفها، اجفلت فقال مطمئناً:

«هدئي من روعك، فأنا لن امسك بأذى.»

«آسفة.»

امسك بيدها فافلحت في السيطرة على انفعالاتها وتركته يمسك انامله بقبضته القوية.

في الفندق اوصلها الى غرفتها وفتح لها الباب سائلاً:«انلتقي غداً؟»

«لدي عمل في الغد.»

«اتعملين كل النهار؟»

«قبل الظهر فقط.»

«اعطني عنوان المدرسة لأمر بك ونذهب لتمضية بقية النهار معاً.»

«لا ضرورة لذلك فسآتي الى هنا لاستحم وابدل ملابسي.»

«كما تشائين. اتصلي بي فور وصولك من المدرسة.»

«سأفعل، والآن تصبح على خير.»

خشيت لين في لحظة الفراق هذه، اتدعه يعانقها ام تدخل الغرفة فوراً؟ وفوجئت به يبتسم للمرة الاولى ويقول آمراً:«قولي تصبح على خير يا بيرت.»

رددت الجملة كما امرها والحمرة تعلو وجنتيها فربت على كتفها مداعباً قبل ان يدير ظهره ويبتعد في الرواق، ولما غاب عن نظرها مررت لين يدها على الموضع الذي مسته اصابعه وكأنه طبع بصماته على كتفها.

في اليوم التالي كان انسجامهما اكبر اذ تغلبت لين على عصبيتها وعادت الى بيرت ثقته بنفسه. قصدا شارعاً في وسط المدينة كان سوقاً قديمة وتم تحويله الى منطقة مأكولات عالمية، فانتشرت على جانبيه عشرات المحلات الصغيرة التي تقدم اطعمة صينية وهندية ومحلية بالاضافة الى المأكولات الاوروبية للذي يخاف على صحته من البهارات الحارة. ووجدت لين متعة في هذا المكان المكتظ بألوان مختلفة من الناس كما تلذذت بالطعام الصيني والهندي.

بعد ذلك مشيا في الحي الصيني الشعبي الكبير ذي الابنية الكبيرة المتلاصقة والتي تحوي عدداً لا يحصى من السكان، تدل عليهم الملابس المغسولة والموضوعة على الشرفات مما يجعل المشاة بحاجة الى مظلات تقيهم هذا المطر المفاجيء المتساقط من الثياب.

اعجبت لين بهذا الحي وهذا المجتمع العجيب الغريب المليء بأسرار اهل الشرق الاقصى. وهي ما كانت لتجرؤ ان تخطو خطوة واحدة في هذا المكان لولا وجود بيرت معها يحميها من محاولة نشل او من احتيال تاجر يريد ان يبيعها قطعة معدنية لها على انها من تحف امبراطورية الصين القديمة، استقلا سيارة من الحي الصيني الى احد المتاحف حيث جالا متأملين التحف والآثار العائدة الى اقدم الازمنة. وليس كالشرق الاقصى منطقة عريقة في التاريخ يجد الخبير فيها ما يمتع عينه ويرضي فضوله العلمي في التعرف على حضارات الاسلاف التي مهدت للتطور الذي نحن فيه اليوم. لما خرجا من المتحف كان العطش قد اخذ منهما كل مأخذ فقصدا مقهى قريباً لتناول عصير البرتقال المثلج المنعش. وبيرت، في كل هذه المراحل، لم يكف عن الكلام وهو يبتسم بسرور. تصرف معها بشكل طبيعي مختلف تماماً عما بدر منه منذ أيام قليلة عندما حاول اغواءها. وهذا ما سهل عليها طريقة التعامل معه، وقد فوجئت بقدرتها على انسجامها مع الرجل الذي تكره، بيد انها حافظت على شيء من التحفظ لئلا تقطع خط العودة وبخاصة عندما تلمح في عينيه بريقاً يشبه ذلك الذي لاح كلما حاول مسها. فيفهم بيرت من جمودها انه اخطأ فيصلح الخطأ على الفور ويعود الى الاحاديث البريئة المرحة.

اصرت لين على تمضية صباح اليوم التالي مع جوليا ومضيفتين ثانيتين على ان تخصص فترة بعد الظهر لبيرت. وحاولت الفتيات الثلاث معرفة الشاب الذي تخرج معه، لكن لين ابقت هويته سراً واوحت لرفيقاتها انه احد العاملين معها في المدرسة. قالت لها جوليا:

«اتعلمين يا نيتا اننا لم نر بيرت منذ وصولنا الى سنغافورة، لا بد انه وجد امرأة جديدة وكف عن ملاحقتك.»

ابتسمت لين متسائلة عما يمكن ان تكون تعليقات الفتيات في حال اكتشفن حقيقة الامر ووجدن ان اللعبة مشت كما توقعن. فجوليا اعترفت منذ البدء على قدرة لين او نيتا على الايقاع ببيرت المتغطرس.

استأجر بيرت سيارة مكشوفة جابا فيها الحدائق في تورنغ. حدائق بديعة مليئة بالاشجار والازهار المتنوعة، وغنية بسواقي المياه تعلوها جسور صغيرة حمراء تبدو من بعيد كأنها معلقة في الهواء. وفيما كانا يسيران في الحدائق بعد ترك السيارة في الموقف، بدأت السماء تتلبد بالغيوم الرمادية المنذرة بهطول المطر. فاختفت الشمس وراء النقاب الداكن الكثيف مما اضفى على المكان جواً يذكر بمناخ انكلترا البارد الحزين. اقترح بيرت اللجوء الى مقعد يغطيه سقف صغير، وما ان بلغاه حتى بدأ المطر

يتساقط بغزارة والريح الباردة تعصف بقوة، وراح البرد يشتد والرعود تقصف مدوية والبريق يشق انواره الباهرة صفحة السماء. كم غريب طقس هذه البلاد اذ تحول من طقس مشمس حار الى ممطر عاصف وبارد في دقائق معدودة.

اخذت لين ترتجف من البرد فخلع بيرت سترته الصيفية ووضعها على كتفيها من دون ان ينسى ابقاء يده هناك. وخشيت الفتاة ان يكون عمله هذا ايذاناً بمحاولة جديدة لكنه اكتفى بذلك فارتاحت الى الدفء واسندت رأسها على كتفه.

مكث الاثنان نصف ساعة يتفرجان بصمت على ثورة الطبيعة المفاجئة. وكما بدأت العاصفة كذلك انتهت، اذ سرعان ما هدأت الريح وانقشعت الغيوم واطلت الشمس مشرقة من جديد تجفف الارض والاشجار والازهار المغسولة بمياه المطر. وفاحت رائحة التراب الرطب عطراً ناعماً طبيعياً لا يضاهيه اي عطر يصنعه الانسان.

غادرا الحدائق اليابانية الى جنائن اخرى تقع في منطقة تدعى مانداي. وذهلت لين لكثافة الزهور نوعاً وعدداً، وشذاها الفواح يملأ المكان بألف عطر وعطر حتى ليخال المتنزه انه يسبح في عالم من الخيال على بساط اخضر سحري ومزركش بأبهى الالوان وازهاها. قطف بيرت زهرة جميلة وعلقها على صدر لين مبتسماً فرحاً.

www.elromancia.com

بعد ان اشبعا توقهما الى الروعة والجمال توجها من الحدائق الفسيحة لتناول العشاء في مطعم صغير متخصص بالمأكولات البحرية يقع قرب الشاطىء. ومن المطعم ذي الطعام الشهي الى مركز التلفريك حيث صعدا في مركبة سارت بهما معلقة على حبل يعلو المياه ستين متراً. كان المنظر رائعاً من هناك ففي الافق تجمعت غيوم صبغتها اشعة شمس المغيب بحمرة قرمزية رائعة راسمة لوحة تعجز يد اعظم فنان عن الاتيان بمثلها. اطلقت لين تنهيدة وقالت:

«يا لروعة هذا المشهد!»

علق بيرت:«شاهدت الكثير من مشاهد غروب الشمس خلال تجوالي في بقاع العالم ولا اشك في ان هذا احلاها.»

وصلت بهما الرحلة الى جزيرة سنتوزا حيث جالا لبعض الوقت يتعرفان الى معالمها حتى غابت الشمس تماماً واسدل الظلام ستاره على الدنيا. عندها استقلا المركبة من جديد ليشاهدا اضواء سنغافورة وقد تحول ليلها الى نهار، وليتمتعا بنور القمر الكامل السابح في عتم الليل كحلم جميل وبنسيم البحر المنعش الذي يدغدغ المشاعر فيطلق العنان لرحلات الخيال.

نظرت لين الى بيرت وقالت:

«احس وكأنني في حلم لا في حقيقة.»

امسك بيدها وعيناه تبحثان عن عينيها لتخبراها

قصة جميلة، وبيده الاخرى اخذ يداعب وجنتها الناعمة، ثم طمأنها عندما رأى بداية الانزعاج على وجهها:«انه وداع فحسب فأنا عائد غداً الى لندن، ولا اريد ان اودعك امام الجميع في الفندق. لذلك لا تعتبري عملي محاولة كسابقاتها.»

ظل يداعبها بحنان وعيناه مسمرتان على وجهها ليطبع كل التفاصيل في مخيلته حتى تبقى معه في الايام العشرة المقبلة. وفجأة عانقها بحرارة وعاطفة تختلفان تماماً عن الوحشية والانانية اللتين ظهرتا منه سابقاً وهمس:

«نيتا! جمالك سحرني.»

ابعدت لين رأسها عنه واسندته الى نافذة السيارة، وراحت تنظر اليه ودقات قلبها تتسارع كأنها في سباق مع ما يحصل. ولدهشتها لم يحاول بيرت الاقتراب منها مجدداً بل اشعل سيكارة وقال:

«ستخرجين معي في المرة المقبلة، اليس كذلك؟»

كان في نبرته امر لا سؤال لأنه ليس مستعداً البتة للتراجع الآن والتخلي عن لين التي لم تخيبه هذه المرة اذ قالت:«نعم.»

تخلى الاثنان عن الكلام حتى وصولهما الى الفندق واكتفى بيرت بايصالها الى غرفتها منسحباً بعد تحية قصيرة.

اتصل بها بعد يومين من لندن وحدثها قليلاً عن رحلة الاياب، ثم سأل:

«الا تأخذون اجازة في مدرستكم هذه؟»

«بالطبع فنحن نأخذ ثلاثة اسابيع بين فصلي الشتاء والربيع، وهي تبدأ يوم الجمعة.»

«وما هي مشاريعك؟»

«لا شيء حتى الآن. لقد تلقيت دعوة من احدى زميلاتي لتمضية الاجازة بصحبتها في الريف ولكني لم اعطها جواباً بعد.»

انهى بيرت المكالمة واستمر يتصل بها كل ليلة ليتأكد من انها لا تخرج مع احد غيره، ولين لا ترفض ذلك ما دام اتصاله دليلا على اهتمامه. وفي احدى الليالي لم يرن جرس الهاتف فخشيت الفتاة ان يكون عدل عن مكالمتها وغرقت في الافكار من جديد.

مكثت لين في المدرسة يوم الجمعة حتى وقت متأخر لانجاز بعض الاعمال الادارية الملحة قبل البدء بالاجازة. وعادت الى الفندق في المساء متعبة تتوق الى حمام بارد ينعشها ويريح اعصابها. اخذت مفتاح غرفتها ودخلت المصعد لتجد بيرت قد سبقها اليه.

قالت والمفاجأة تغمرها:

«انت! ما الذي جاء بك اليوم وموعد وصولك بعد خمسة ايام؟»

«هذا صحيح ولكني تدبرت الأمر حتى ابقى في هذه البلاد ثلاثة اسابيع.»

استطاع بيرت اذن الحصول على اجازة ليمضي وقتاً طويلاً مع لين، فترة ادركت الفتاة حساسيتها وجوهريتها لأن نجاح خطتها سيكون رهناً بتعاملها مع بيرت فيها.

رافقها الى غرفتها وما ان دخلاها حتى عانقها بلهفة الشوق والحنين كون الايام الخمسة التي ابتعد فيها عن لين دهراً بالنسبة اليه.

فسر تصرفاته قائلاً:

«كنت بحاجة ماسة الى ذلك.»

رمقته لين بنظرة قاسية زاعمة الغضب ولكنهما ما لبثا ان غرقا في ضحكة طويلة.

دفعها بيرت برفق الى الحمام قائلاً:

«هيا الى الاغتسال وتبديل الثياب يا عزيزتي، لأننا سنخرج الليلة للاحتفال.»

سألت:«وبماذا سنحتفل؟»

«بالاسابيع الثلاثة التي سنمضيها معاً. ايمكنني استعمال هاتفك؟»

«بالطبع.»

لما انهت لين حمامها خرج بيرت الى الشرفة ليفسح لها المجال لارتداء ثيابها، وعندما انتهت من ذلك وانشغلت بتصفيف شعرها دعته الى الدخول. انجزت الفتاة استعدادها فقال بيرت متأملاً حسنها:

«لا بد انك اصبحت معتادة على اعجاب الناس بجمالك الباهر.»

هزت لين رأسها ببطء وعلقت:«لست معتادة على ذلك ولا يهمني ان يعجب الناس بجمالي. فالجمال الحقيقي ليس في المظهر بل في الجوهر.»

تأملها بيرت قليلاً ووافق:

«قولك صحيح خصوصاً وانك مؤمنة به.»

«وما ادراك؟»

«انت متميزة عن سائر الفتيات اللواتي لا يكترثن سوى للثياب الفاخرة والمظاهر المادية. اي فتاة تبذل الغالي والنفيس لتحصل على وجه مثل وجهك، وانت لا يهمك الجمال.»

جفلت لين من كلمة «لتحصل» هذه واقترحت بسرعة:

«لننطلق.»

كان بيرت في مزاج طيب ومرح تلك الليلة ولم تجد لين صعوبة في مماشاته. تناولا طعام العشاء في احد الفنادق ورقصا في ناديه الليلي حتى ساعة متأخرة. وعندما حان وقت الذهاب الى النوم عاملها بحرارة الفتها الفتاة في الايام التالية التي امضياها بالتجوال والتنزه في سنغافورة لاكتشاف اهم معالمها او في التمدد تحت اشعة الشمس على حافة حوض السباحة في الفندق.

سمحت لين ببعض التجاوزات الطوعية لأنها صارت في وضع لا يسمح لها بالرفض فمقابل التنازل الذي قدمه لها عليها تفهم مشاعره ومنحه القليل. وهي

تعلم في قرارة نفسها ان بيرت يأمل في اكمال الرحلة عندما يحين الوقت المناسب، وما التساهل الحالي سوى مناورة ذكية حتى تخضع له في النهاية. لذلك عليها اجادة التمثيل والصمود حتى تنتهي الاسابيع الثلاثة ويعود بيرت الى لندن قبل تحقيق هدفه.

وفكرت الفتاة في تنفيذ خطتها بوضع علبة في حقيبة يده قبيل موعد سفره، بيد انها ارتأت تأجيل ذلك حتى يكون في رحلة عمل يقود الطائرة لا مجرد راكب عادي كغيره، كما انها ستجد صعوبة في الحصول على طلبها وبيرت معها يلاحقها كظلها.

اما بعد ان تصبح وحيدة فستعثر على ما تريده بسهولة، وقد نجحت لين بمساعدة زميلة سابقة في السجن، في التعرف الى من يؤمن لها الكمية المطلوبة خلال ساعات، كما انها وجدت علبة بودرة مماثلة تماماً لتلك التي وضعت في حقيبتها حتى يدرك بيرت من نصب له الفخ واوقعه في الحفرة نفسها.

وبالتالي تغدو مهمتها الآن الابقاء على العلاقة معه وتحاشي التوغل فيها حيث يريد حتى يحين موعد وصوله المقبل مع افراد الطاقم فتنفذ الفصل الأخير وتسدل الستار على مسرحية الثأر المرتقبة.

لحسن الحظ لم يتخط بيرت حدوده معها لأنها لم تكن تبدي تجاهه اي تجاوب بل تنفذ واجبها المجرد من الشعور، فيظهر الغضب والخيبة عليه ويعرض عن اكمال المحاولة عله يفلح في المرة المقبلة. وكان

من الصعب على لين الخروج من هذه المواقف، فان تابعت الرفض ظنها بيرت باردة لا احساس فيها وان استجابت انزلقت في مجاهل تخيفها لمجرد التفكير بها.

وفيما كانا جالسين قرب حوض النادي الرياضي سألها:

«لماذا لا تنزلين الى الماء؟ اطمئني فلن ادعك تغرقين.»

«انا لا اهابك بل أهاب الماء. انها عقدة خوف ترافقني منذ الصغر عندما دفعني احدهم الى حوض عميق فكدت اغرق. ومن يومها لم اعد اقترب من الماء او تراودني فكرة السباحة.»

سرت لين بسرعة بديهتها واجادة تلفيق الاكاذيب واختلاق القصص بهذه السهولة لعلها في ما بعد تجد مستقبلاً باهراً في التأليف والأدب او في التمثيل.

أثار تفسيرها في نفس بيرت فضولاً فقال:

«اخبرتك اشياء كثيرة عن حياتي بينما لا زلت اجهل ماضيك تماماً. هلاّ عرفتني بنفسك يا آنسة نيتا لويس.»

ابتسمت لين بنعومة وهي تحاول ايجاد الكلام المناسب:

«لا يوجد شيء مثير في ماضي بالمقارنة...»

قاطعها بيرت آمراً:

«اصر على معرفة ماضيك.»

وبحذر استوضحته:«ماذا تريد ان تعرف؟»

«كل التفاصيل، منذ ابصرت النور حتى هذه اللحظة.»

عجبت الفتاة لهذا الاصرار فهزت كتفيها وبدأت بسرد القصة:

«فليكن ما تريد. عمري اثنان وعشرون عاماً. ولدت في مقاطعة باكنغهام شاير وعشت لفترة وجيزة في كنف والدي اللذين ماتا في حادث سيارة ولم ابلغ الرابعة بعد. انتقلت للعيش في منزل عمتي التي منحتني رعاية كبيرة وادخلتني مدرسة محترمة انهيت فيها مراحل الدراسة من الابتدائية حتى الثانوية.»

بالطبع كانت قصة وفاة الوالدين والعيش مع العمة من نسج الخيال في حين ان ما قالته عن مسقط رأسها ومدرستها صحيح.

تابعت لين:

«بعد المدرسة انتقلت الى معهد خاص لدراسة الفرنسية حيث نلت شهادة تخصص في هذه اللغة، وعدت لادرسها في مدرستي القديمة.»

«افهم من كلامك ان معظم حياتك كانت ملكاً للمدارس على اختلافها؟»

«اعتدت على تلك الاجواء الهادئة البعيدة عن صخب العالم ومهالك الخطيئة.»

رفع بيرت حاجبيه مستغرباً هذا الوعظ سائلاً:

«وما الذي اتى بك الى سنغافورة؟»

عادت لين هنا الى شيء من الحقيقة اذ اجابت:

«توفيت عمتي تاركة لي بعض المال، فوجدت الوحدة صعبة في الريف. لذلك توجهت الى لندن فلم اوفق، وقرأت في احدى الصحف اعلاناً عن الوظيفة هنا فقدمت اليها وهكذا كان.»

«لماذا لم توفقي في لندن؟»

لم تجب لين بل ادارت وجهها فأضاف:

«اكان السبب رجلاً؟»

«الرجال بشكل عام هم السبب. لقد دخلت معهداً يعلم فنون التزيين الرجالي، بيد اني وجدت نفسي فاشلة في هذا الحقل اذ رأيتني عاجزة عن التعامل مع الرجال فغادرت العمل، او بالاحرى فررت منه.»

«قصتك توضح بعض الامور.»

هذا ما املته لين من قصتها. وتبين لها ان ما سردته لبيرت عن جهلها عالم الرجال لتمضيتها فترة الطفولة والمراهقة منطوية على ذاتها ساهم في جعله يعاملها برفق وتحفظ.

* * *

بعد ايام اقترح بيرت السفر الى بيانغ لما تبقى من الاجازة فادعت لين انها تجهل المكان:

«انها منطقة رائعة في شمال البلاد على حدود تايلاند. بيانغ جزيرة حالمة ينعم فيها المرء بالهدوء

والطمأنينة بعيداً عن ضجيج المدينة وبهرجها الزائف.»

«ما بك تحولت شاعراً بين ليلة وضحاها؟»

«اجيبي على اقتراحي ولا تحاولي تغيير الموضوع.»

تابعت لين اسئلتها فيما يتنزهان في احدى الحدائق الكبيرة، فاستفهمت:

«وما هدفك من الذهاب الى بينانغ؟»

«اريد تعريفك على جزء آخر من البلاد والمكوث معك في مكان هادىء وشاعري.»

قطفت لين وردة عطرة ورددت:

«المكوث معي؟»

«لا تعودي الى المعزوفة عينها.»

«اتساءل لماذا اخترت الذهاب في هذا الوقت بالذات.»

«ماذا تعنين؟»

«أعني ان طائرة لندن ستصل برفاقك غداً.»

«حسناً اعترف بأني ابغي تجنب مقابلتهم لانهم لا يعلمون بوجودي هنا.»

علت نبرة لين وهي تقول غاضبة:

«فهمت. اتخجل من ان يروك معي؟»

ادارت ظهرها وابتعدت عنه فناداها ولحق بها:

«نيتا! لا تسيئي فهمي.»

ضمها اليه بعنف حتى كاد يسحق عظامها واردف:

«اريد الابتعاد عنهم لئلا يفسدوا هنائي، فأنا لا انوي

اضاعة وقتي مع احد غيرك، كما نحن بغنى عن ملاحظات جوليا وتعليقاتها الجارحة.»

كيف تتصرف لين ازاء الوضع الجديد وعلاقتها مع بيرت اصبحت تسير على خطين متوازين: خط مخططها الانتقامي وخط نظرتها اليه بعيداً عن المخطط، وهي نظرة بدأت تتبلور رويداً رويداً.

هل توافق على الذهاب الى بيانغ؟ وهل يحافظ بيرت على وعده بعدم الاقتراب منها؟

اعتبر بيرت صمتها عدم ثقة فقال:

«يجدر بك ان تضعي ثقتك فيّ بعدما خبرتني في الايام الأخيرة. الا يكفيك الامتحان الذي اجتزته؟»

تخاطبت عيونهما لمدة وجيزة قبل ان تنطق لين:

«سنذهب الى بينانغ.»

ابتسم بيرت ابتسامة عريضة قائلاً:

«احسنت يا فتاتي.»

لم يخطىء بيرت بشأن بينانغ، فهي جزيرة رائعة تنتشر فيها البيوت والقرى بين المروج الخضراء حتى ليخال الناظر اليها انه يعيش ايام الماضي المليء بالخير والبركة. وعلى اقدام المروج تمتد الشواطىء الذهبية حيث يحلو للمتأمل والتنزه.

تناولا طعام العشاء في ليلتهما الاولى في قلعة اثرية قديمة تحولت مطعماً راقياً يشرف على الشاطىء المزروع بأشجار النخيل الباسقة. ومن المطعم استقلا مصعداً الى تلة عالية اقيم عليها سوق للأثريات.

احست لين بالوقت يمر بطيئاً في هذا المكان الجميل وتمتعت بكل لحظة امضتها فيه. وكم تمشت وبيرت على الشاطىء يراقبان الصيادين يلقون شباكهم ويخرجونها ملأى بأسماك البحر المتنوعة، وكم تأملا طيور النورس تحوم بحثاً عن سمكة تقتات بها.

استوقفتهما سيدة عجوز تفرست في وجه بيرت ثم في وجه لين وقالت لها:

«مستقبلك سيكون باهراً يا ابنتي ولكنك ستمرين بمتاعب جمة قبل الحصول على مبتغاك. سوف تعرف حياتك انقلاباً كبيراً وتضطرين الى السفر بعيداً.»

ضحكت لين وعلقت:

«الجزء الأخير قد تم فعلاً.»

ثم استدار وتوجها من قلب الجزيرة حيث السوق التجاري الى قلعة قديمة تدعى قلعة كور نواليس حيث تتأمل غروب الشمس خلف البحر عند الافق.

ضمها بيرت اليه وهمس:«ما رأيك بتحقيق قول العجوز؟»

«ماذا تعني؟»

«الم تتحدث العجوز عن انقلاب كبير في حياتك؟ وليس اجمل من ان يكون الانقلاب زواجك مني.»

تسمرت لين وكأن الموت داهمها، ثم رددت:

«الزواج!»

اجاب بيرت والابتسامة تعلو شفتيه:

www.elromancia.com

«نعم، الزواج. لست صماء على ما اعتقد.»

«هذا مستحيل! انت من النوع الذي لا...»

انقطعت عن اكمال جملتها لما رأت الغضب يزحف اليه وينفجر:

«اي نوع هذا؟ ومن أين لك ان تصنفي الناس انواعاً وفئات؟ اتظنين اني ارضى الى الابد بهذه العلاقة؟»

«ارجوك لا تغضب. انا آسفة لتفوهي بهذه الحماقات، لكنك فاجأتني بالعرض لأنني لم اكن اعتبرك من محبذي الزواج.»

«الم تفكري بالزواج طيلة هذه المدة؟»

أضاف بعد ان اومأت بالنفي:

«الى اين تودين الوصول بعلاقتك بي اذاً؟»

« حسبتك تريد هذا النوع من العلاقة حتى تجد من يستقبلك كلما اتيت الى سنغافورة.»

حدق بيرت فيها مذهولاً وقال:

« واذا حدث ان نقلتني الشركة الى خط آخر، ماذا يحصل عندها؟»

«ينتهي الامر وتشرع بالبحث عن واحدة اخرى في البلاد التي تحط رحالك فيها.»

لم ينبس بيرت بكلمة بل ضحك بمرارة واخذ ينظر الى الافق، الى نسمة تزيل عنه ضيق الخيبة. وفجأة التفت اليها وقال:

«انا الملام على موقفك هذا لاني لم اشرح لك كل شيء منذ البداية...»

امسك بيدها باحثاً عن الكلمات المناسبة وتابع:

«لم اكن اتصور اني سأحب من جديد او اني سأتزوج يوماً. صرت ارى في المرأة هدفاً مادياً بحتاً في متناول يدي. ولكنك دخلت حياتي كالعاصفة وجعلتني ادرك ان العالم ما زال يتسع للاعاجيب. جعلتني اؤمن ان الحب الصادق ما زال موجوداً، وان المرء يستطيع اتخاذ زوجة تحبه وترعاه وتبني واياه عائلة سعيدة.»

داعب وجهها مضيفاً:

«لا ادري متى وقعت في غرامك بالضبط وكأن الوقت تعطل حتى لأخالني اعرفك واحبك منذ زمن بعيد. انا احبك يا نيتا واقسم لك بأني لن اعير امرأة غيرك نظرة واحدة ما دمت بجانبي.»

هربت لين من نظراته ووقعت في مأزق جديد لم تجد مهرباً سوى طرح سؤال:

«لم تكن تتصور انك ستحب من جديد؟ اتعني انك احببت من قبل؟»

«نعم وقد انتهى الامر الى خاتمة غير سعيدة.»

«لماذا؟»

«لأنني منحتها حبي وثقتي في حين انها لم تبادلني الحب الصادق ولم تمنحني ذرة من ثقتها.»

«اكنت تنوي الزواج منها؟»

«بالطبع. ولهذا وجدت المرأة بعد خيبتي فارغة لا تستحق الاهتمام. كان الجرح عميقاً في نفسي بعد

www.elromancia.com

ان خذلتني فتاتي وايقنت اني لن اجد سواها تملأ حياتي، حتى اتاني القدر بك منقذاً لم اعد قادراً على خسارة الحب ثانية يا نيتا فالصدمة الاولى تكفيني. وأنا مصمم على الزواج من أروع انسانة عرفتها في حياتي.»

مشت لين خطوات في باحة القلعة وهي تحاول التفكير منطقياً ولكنها فشلت في استغلال الموقف لصالح خطتها. لماذا التردد والارتباك وهي كانت تعلم بوضوح غايتها من اقامة علاقة مع بيرت؟ وأخيراً قالت:

«لا يمكنني الاجابة الآن يا بيرت لأني لا اعرفك حق المعرفة. صحيح اننا امضينا الأيام معاً، غير ان ثلاثة اسابيع لا تكفي للجزم على حياة بكاملها.»

اقترب بيرت منها فاستوقفت محذرة:

«لا تحاول نيل جواب الآن كما فعلت سابقاً، فالامر اخطر وأعمق مما تتصور. لا تستعجلني والا رددتك خائباً. امنحني بعض الوقت لافكر في المسألة ملياً.»

رفع بيرت يديه علامة الاستسلام وعلق:

«فليكن ما تشائين يا حبيبتي! لن ارغمك على اعطاء اجوبة سريعة، غير انني لن اكف عن محاولة اقناعك.»

دنا منها هامساً:

«ليتك تقولين نعم منذ الآن وتنهين عذابي.»

عادا من الجزيرة في اليوم التالي ولم يتسنَ لهما سوى تناول غداء سريع في المطار قبل عودة بيرت الى انكلترا. ودعها معانقاً من دون كلام لانه قال كل ما لديه البارحة، فترك لعينيه مهمة افهامها كم هو عظيم حبه وكم هي عميقة عاطفته.

انتظرت لين اقلاع الطائرة واختفاءها بين سحب السماء حتى عادت الى الفندق. استلقت على سريرها وعقلها يعيد خلط الاوراق والتفكير بما عليها ان تفعل. وكان غياب بيرت عاملاً مساعداً للتفكير بهدوء وروية. لقد اعطاها سلاحاً لم تكن تحلم بالوصول اليه عندما اعترف لها بحبه، وصار فريسة سهلة ولقمة سائغة تبطش به متى شاءت.

وينبغي ان تأتي عملية البطش موجعة قدر الامكان لتروي غليلها وتفهم بيرت ان عمله لم يمر دون عقاب، وعقاب قاس جداً. ولا شك في ان الانتقام سيكون له وقع اشدّ بعد وقوعه في غرامها.

خرجت لين لتناول العشاء في احد المطاعم وجلست الى طاولة بقرب مجموعة من الرجال جلسوا يتحدثون عن ذكرياتهم في معتقل شانغاي الذي اسر فيه اليابانيون جميع الاوروبيين الموجودين في سنغافورة ابان الحرب العالمية الثانية. وروى احدهم كيف نجا من الموت عندما كان في لندن وسقطت بقربه قنبلة اثناء القصف الجوي الالماني للمدينة. واعاد الحديث عن القنابل الى ذاكرة لين كتاباً قرأته

عن رجل قتلت عروسه بانفجار قنبلة ليلة زفافهما، فأتتها فكرة جديدة تنفذ بها انتقامها بغنى عن الفكرة الاولى وتخلف في قلب بيرت خنجراً يعمل في قلبه تمزيقاً طيلة حياته.

وهكذا سددت حسابها المتوجب للفندق بعدما استأجرت شقة قريبة من المدرسة وتركت عنوانها بعد ان شددت ظاهرياً على عامل الاستقبال لئلا يعطيه لأحد، وهي تعلم ان قليلا من المال يكفي ليفك الرجل عقدة لسانه ويصرح بالعنوان. وبهذه الطريقة تمتحن مصداقية حب بيرت الذي سيبحث عنها ويجدها لو اراد.

لم تعد لين الى شقتها باكراً في اليوم المقرر لعودة بيرت فذهبت الى السوق ومنه الى السينما لمشاهدة احد الافلام الرومانسية. وصحت توقعاتها اذ لما عادت الى البناية التي تقطن فيها وجدت المصعد متوقفاً على الطبقة الرابعة حيث شقتها، وهناك وجدت بيرت في بزة العمل متكئاً على الجدار من التعب. رسمت لين على وجهها امارات الخوف والذهول وحاولت العودة الى المصعد لكن بيرت امسك بها بشدة آمراً:

«اعطني المفتاح.»

وكالحمل الوديع نفذت لين الأمر، ففتح بيرت باب الشقة ودفعها الى الداخل ثم اقفله وانفجر غاضباً:

«لماذا غادرت الفندق؟ جن جنوني عندما اتصلت

منذ خمسة ايام وأبلغوني انك تركت الغرفة.»

وضعت لين الاكياس التي تحملها على طاولة صغيرة وسألت:

«كيف عثرت علي؟»

«رشوت عامل الاستقبال بعد ان هددته بأوخم العواقب اذا استمر بالكتمان فاذعن واعطاني العنوان.»

اظهرت لين ما امكنها من عدم اكتراث فبدأت باخراج ما اشترته من الاكياس غير ان بيرت الثائر لم يكن ليتحمل ذلك فصاح بها:

«لقد سألتك عن سبب مغادرتك الفندق؟»

تعمدت لين فضح كذبها فقالت:

«غادرته لأن البدل مرتفع للغاية.»

دفعها الى الجدار قائلاً بنبرة مزمجرة:

«لا تكذبي! انما حاولت التهرب مني، اليس كذلك؟»

صمت لين اذنيها وأجابت:

«اصبت. لقد هربت لأني لا اريد الزواج منك ولا اريد رؤيتك بعد الآن.»

«اهكذا تديرين ظهرك وتمشين دون كلمة وداع؟ الا تأبهين بمشاعري بعد الذي قلته لك في المرة السابقة؟»

سدد بيرت لطمة الى الجدار قرب رأسها فتنحت جانباً خوفاً من ان تكون الثانية من نصيبها. واستعملت قدرتها التمثيلية لتجعل صوتها يرتجف وتقول:

«حاول تفهم عملي يا بيرت. اردت ان اقطع العلاقة بهدوء حتى لا اعقد الأمور على كلينا. ظننت ان الانسحاب المفاجىء هو افضل السبل لذلك.»

«الانسحاب المفاجىء! وقلقي عليك، الا تحسبين له حساباً خاصة واني لا اعرف حتى عنوان المدرسة.»

اطرقت لين تحدق في ارض الغرفة بانتظار خطوته التالية التي لم تتأخر، اذ دنا منها ووضع يديه المرتجفتين على كتفيها سائلاً:

«لماذا لا تتزوجين مني؟»

«لسبب جوهري.»

«الأنك لا تحبينني؟»

أجابت باقتضاب وجزم:

«ارفض الزواج منك، لا اكثر ولا اقل.»

ادرك بيرت ان الأمل ما زال موجوداً كونها لم تنكر انها تحبه فاقترح:

«لماذا لا نجلس ونبحس المسألة بهدوء؟»

«لا مجال لأي بحث. ارحل عني ولا تدعني اراك بعد الآن.»

قال بيرت محاولاً كسب الوقت:

«سأرحل ولكن بعد ان تقدمي لي فنجان شاي على الاقل. الا تقضي بذلك اصول اللياقة؟»

«آسفة لم ا نتبه لأصول اللياقة.»

«اذا كنت جائعة حضري عشاءك ولا تدعي وجودي يؤخرك.»

حملت لين الاكياس الى المطبخ ثم عادت وسألته:

«كم مضى عليك في انتظاري؟»

«ثلاث ساعات.»

«لا بد انك تشعر بالجوع اذن. هل تتناول الطعام معي؟»

أجاب بيرت محاولاً اخفاء فرحه لكسب هذه الجولة:

«ولم لا؟»

خلال السهرة تابعت لين تمثيل دور الرافضة باجادة فحاولت صرفه باكراً بتردد ليبقى، وابدت مقاومة ضعيفة لاقتراحه البقاء صديقين فاقتنعت بذلك.

غادر بيرت الشقة في حوالي منتصف الليل بعد ان اطمأن الى انه احرز تقدماً ما، ولين مسرورة بهذه المناورة الاستدراجية الجديدة التي ستجعله يسعى اليها بعنف اكبر. وهي ستتابع الخروج معه كصديقين وترفض عروض الزواج حتى تجد ان الوقت قد حان لقطاف ثمرة الثأر.

بعد أسبوع، اي بعد عودة بيرت من بالي، اصطحبها الى فندق الهيلتون لتناول العشاء. بعد فراغها من تناول الطعام قامت لين لتغسل يديها، ولدى عودتها الى المائدة اصطدمت بمجموعة من رجال الاعمال الذين يمضون معظم اوقاتهم في دول الشرق الاقصى فيشتاقون الى الشقراوات مثيلاتها. قال احدهم:

«يا لهذا الجمال الآخاذ!»

وتابع آخر:

www.liilas-romancia.com

«وأخيراً وجدنا شقراء وسط سمراوات هذه البلاد. انها جوهرة تشع في الظلام.»

وقف ثالث واقترح مبتسماً:

«لماذا لا تنضمين الى مائدتنا يا حلوتي فنقدم لك العشاء؟»

حاولت لين المرور لكنهم صدوا طريقها وطوق احدهم خصرها قائلا:

«نحن لا نعرف احداً في سنغافورة ونبحث عن فتاة جميلة مثلك. دعيني اشرح لك...»

وهنا وصل بيرت فقاطعه بحدة:

«لماذا لا توجه شرحك لي؟»

ودفع بيرت الرجل عن لين ثم امسكه من ياقة قميصه فتدخلت لين مهدئة:

«دعه يا بيرت. لم يحصل شيء يستحق القتال.»

لم يكد الرجل يصدق عندما حرره بيرت فلا احد يرغب بمنازلة شاب مثله ذي عضلات قوية بارزة، وعلى الفور جمع الرجال بعضهم واختفوا من المكان بلحظة.

علمت لين، وهما في طريق العودة الى الفندق، ان الوقت حل لتمثيل دور حاسم على بيرت. وهكذا لما طلب المصعد قالت له:

«لنخرج قليلاً الى الحديقة.»

وهناك مشت الى جانبه وعيناها سارحتان في البعيد وفجأة توقفت وقررت تنفيذ خطتها قائلة:

«بيرت، انا ... ضمني اليك.»

عانقها بحنان مذهولا لا يفهم مرادها والتحول غير المتوقع في موقفها. ولتزيد من حيرته قالت لين هامسة:

«آه لو نبقى هكذا الى الابد.»

للمرة الاولى اخذت المبادرة فكاد عقله يطير.

حاولت لين التراجع لكن بيرت لم يدعها تفلت الى ان همست في اذنه:

«الا تريد سماع ما سأقول؟»

«قولي.»

«احبك واريدك شريكاً لحياتي.»

كان لكلامها وقع الصاعقة عليه فهو لم يكن يتوقع كل هذا الدفق من السعادة مرة واحدة. فاخذ يحدق فيها وهي تبذل جهداً جباراً لتبدو صادقة وجادة في ما تقول:

«آه يا حبيبتي كم هي سعادتي كبيرة في هذه اللحظات. ولكن لماذا عذبتني كل هذا العذاب؟»

«كنت خائفة.»

«مني؟»

«خشيت ان يكون عرض الزواج ستاراً حتى تحصل عليّ؟»

« كيف تراودك هذه الافكار وقد صرحت لك بحبي يا نيتا؟»

«ظننت ان الامر مجرد وهم او نزوة.»

www.elromancia.com

«يا لغباء حبيبتي الصغيرة!»

«أوافق على ذلك، فقد اظهرت حماقة كبيرة في تعاملي معك يا بيرت.»

«وما الذي جعلك تغيرين رأيك؟»

«اكتشفت حقيقتك الليلة في فندق الهيلتون عندما ظهر الفارق ساطعاً بينك وبين هؤلاء الرجال الذين لا يرون في المرأة اكثر من اداة للتسلية و...»

ضحك بيرت عالياً وهو يضمها بين ذراعيه فاضافت سائلة:

«اتسخر مني؟»

«وكيف لا اسخر منك بعد كل ما اظهرته من غباء! المهم الآن ان العاصفة مرت بسلام ودرب السعادة مفتوح امامنا لنسلكه سوياً...»

الفصل السادس

توج بيرت فرحته بعقد قرانه على لين بعد شهرين في بلدته في انكلترا. وحضر الزفاف اقرباؤه واصدقاؤه وافراد طاقم طائرته بالطبع، والكل لا يصدق ان بيرت طلق العزوبية من اجل امرأة.

عارضت لين باديء الامر ان يكون العرس كبيراً وضخماً، غير ان بيرت اصر على ان يأتي زواجه حدثاً مميزاً لأنه امر غير اعتيادي لا يحصل كل يوم ويقتضي ان تبقى ذكراه ماثلة في الاذهان. ومما قاله:

«كيف لي ان اتزوج من حبيبتي الغالية النادرة من دون ان اشارك جميع معارفي بهذه الفرحة؟»

وافقت لين على الزفاف الكبير كما تخلت عن وظيفتها وعادت من سنغافورة الى وطنها حيث مكثت في شقة في العاصمة لندن لتحضر حاجياتها قبل الزواج، رافضة اصرار بيرت على سكناها مع اهله. وهي ارادت من بقائها في لندن بعض الوقت وضع خطة انتقامية جديدة بعد ان تخلت عن الفكرة السابقة. فطلبت منه بدلال ان يمضيا شهر العسل في شمال افريقيا، فلبى رغبتها على الفور وحجز جناحاً في احد فنادق سوسة في تونس. وفي لندن ذهبت لين لزيارة ماغي كليرمونت التي تدبرت لها جواز سفر

www.elromancia.com

جديد بأسمها الحقيقي لين ماكسويل. واختلقت لين لبيرت عذراً لتغيب بعض الوقت فادعت انها سمنت قليلاً وانها ستدخل نادياً خاص لاتباع حمية لمدة اسبوع حتى تنقص وزنها بضعة كيلوغرامات. اقتنع بيرت بالفكرة، وهو لا يرفض لها طلباً، وطار الى سنغافورة في رحلة عادية لن يعود منها الا قبل الزفاف بيومين. وفي اثناء غيابه كان من المفروض ان تكون لين في النادي، لكنها طارت الى تونس بجوازها القديم واضعة شعراً مستعاراً كشعرها السابق ونزعت عن عينيها العدستين اللاصقتين ليعود لون عينيها الحقيقي. وهناك نزلت في الفندق الذي حجز فيه بيرت ومكثت خمسة ايام تعرفت اثناءها الى بعض الناس قبل ان تعود الى لندن بعدما ابقت غرفة في الفندق محجوزة باسم لين ماكسويل.

لم تحتاج لين الى ادعاء التوتر في اليومين السابقين لحفل الزواج، فهي بدت عصبية المزاج وعلى عتبة مرحلة خطيرة وجديدة في حياتها وتفهم بيرت ذلك لأن كل عروس تشعر بالامر نفسه مع اقتراب ساعة الصفر.

كان يوم الزفاف رائعاً، فالشمس اشرقت في انكلترا مضفية على الريف، حيث بلدة بيرت، جواً لطيفاً ناعماً ومريحاً للاعصاب. وبعد المراسم الشكلية اقيم حفل استقبال في حديقة منزل آل داين حضره

جميع المدعوين، وقدمت خلاله انواع مختلفة من الحلوى بما فيها قالب الكعك الكبير الابيض كما القيت في المناسبة كلمات من القلب تحمل تمنيات الاصدقاء والمقربين بحياة مديدة عامرة بالرفاه والبنين. وأخيراً جاء دور بيرت في الكلام فشكر الحضور باسمه واسم زوجته التي رمت، كما يقتضي العرف، باقة الزهور باتجاه الفتيات متعمدة قذفها نحو جوليا التي التقطتها وصارت بالتالي اولى المرشحات لحذو حذو العروس. وأخيراً استقل العروسان سيارة مزينة بالورود والشرائط الزاهية وسط الزغاريد ونثر الزهور وابتعدا عن المكان باتجاه لندن ومطار هيثرو بالتحديد للسفر الى تونس.

شعرت لين خلال كل ما مرت به انها مجرد مهرج يؤدي دوره من دون ان يكون في الامر شيء من الحقيقة، في حين ان الاثارة والفرح غمرا بيرت وافراد عائلته خصوصاً والدته التي شكرتها لانها جعلت ولدها يقرر الزواج والاستقرار. وتجاه ذلك احست العروس ببعض الندم لانها ستصدم اناساً طيبين لا ذنب لهم بما فعله بيرت يوم أودى بها الى السجن، ولكن ما العمل فالعدالة تؤدي احياناً الى ظلم الابرياء كما حصل لها تماماً. فلتتحمل عائلة داين ما جناه بيرت كما تحملت لين نتائج جريمته.

أوقف بيرت السيارة في الطريق الى المطار حتى يزيل بعض الزينة عن السيارة ليتمكن من القيادة،

www.elromancia.com

وبعد ذلك انصرف الى عناق لين التي قالت:
«الا تستطيع تأجيل ذلك ا لآن، فالطائرة لن تنتظرنا.»
«مرة واحدة بعد كي اتمكن من الصمود حتى تونس.»
«واحدة فقط.»
وصل العروسان الى تونس في العصر، وتوجها من العاصمة الى منتجع سوسة الساحلي السياحي. اعجبت لين بالاجواء العربية هناك وتأملت المدينة الجميلة المحافظة على اصالتها برغم المنشآت السياحية الحديثة. فشاهدت مثلاً الجمال تسير في بعض الاحياء والسيارات الفخمة في شوارع اخرى، كما رأت البيوت الحجرية البيضاء البسيطة الى جانب العمارات الشاهقة. اما الفندق ففخم جداً معظم اعمدته وجدرانه رخامية مزينة بانواع الفسيفساء، والقناطر تعلو كل مدخل كما في فن العمارة العربي القديم. دخلا غرفتهما الكبيرة المطلة على حدائق الفندق وحوض السباحة، ووقفت لين على الشرفة تتمتع بالطقس الدافىء والجاف البعيد كل البعد عن رطوبة سنغافورة القاتلة.
بيرت من جهته لم يكترث لا لجمال سوسة ولا لفخامة الفندق بل صب اهتمامه على لين وعلى الساعات المقبلة عندما تصبح اخيراً زوجته. نظرت العروس اليه وهي تضحك في نفسها لأنها ستتركه يحترق

بنار الخيبة من جديد، ستوصله الى السعادة ومن هناك الى هوة المرارة والحسرة، ستدفع به الى درك لن يستطيع النهوض منه معافى ابداً.
دخلت لين للاستحمام قبل بيرت ولما خرجت كان على الشرفة ينفث دخان سيكارته. انتظرت دخوله الحمام حتى تخلع ثوب الحمام وترتدي ثيابها لكنه ادرك ذلك وعاد اليها يعانقها، ويقول:
«لا حاجة للخجل بعد ان اصبحنا زوجين.»
وامعاناً في اثارته همست لين:
«لم اعد اعرف الخجل معك يا حبيبي.»
«آه لو تدركين كم انا متلهف لك.»
تابع عناق عروسه بحرارة جعلتها تخشى ان تستسلم من دون مقاومة. بيد انها لم تعد تملك عذراً تبرر صده فخضعت للحظات ثم ابتعدت عنه بهدوء.
«تمهل يا بيرت.»
ابتسم وقال لاهثاً:
«يبدو ان تيار اللهفة جرفني بعيداً.»
مرت التجربة بسلام ونزل العروسان الى مطعم الفندق للعشاء. بعد ذلك تنزها في جناح أرضي خاص. وتأملا في الواجهات السجاد الفاخر والخزفيات الجميلة والحلى الفضية.
التفتت لين الى بيرت وقالت:
« أتشتري لي سواراً فضياً احمله في يدي كل يوم لئلا افرط بالسوار الذهبي او اضيعه؟»

لم يكن الامر بحاجة الى سؤال، فهي تأمر وبيرت ينفذ بلا جدال او مناقشة، اذ المهم ان تبقى العروس الرقيقة راضية سعيدة. بعد ذلك جلسا على مقعد تحت شجرة نخيل يداً بيد صامتين الى ان اقترح بيرت:

«هلا صعدنا الى الغرفة؟»

وافقت لين على ذلك ونهضت متعمدة ترك علبة السوار الفضي على المقعد.

ولما دخلا الفندق وصعدا السلم الى غرفتهما صاحت:

«آه! لقد نسيت سواري في الحديقة!»

همت بالنزول لجلبه، غير ان بيرت اوقفها قائلاً:

«لا تقلقي يا حبيبتي سنجده في الغد.»

رمقته لين بنظرة وتوسلت:

«قد يسرقه احد يا حبيبي. انزل واجلبه فأنا اكره ان افقد هدية من شخص عزيز.»

«حسناً سأنزل الآن بخاصة واني قد اكون منشغلاً جداً في الصباح حتى اكترث لسوارك.»

نظرت اليه بغنج وقالت:

«ايها الماكر.»

اعطاها مفتاح الغرفة فقبلته وحثته على الاسراع فقفز الدرجات قفزاً حتى يعود اليها بأسرع ما يمكن.

وما ان غاب عن ناظريها حتى هرعت الى الغرفة واخرجت حقيبة صغيرة من حقيبتها الكبيرة وارتدت

فستاناً فوق فستانها، ثم وضعت الشعر المستعار الشبيه بشعرها القديم وخرجت من الغرفة بعد ان تأكدت من خلو الرواق من اي فضولي. بعدها دخلت غرفة جانبية خالية مخصصة للخدم حيث بدلت ملابسها وحذاءها ونزعت العدستين اللاصقتين عن عينيها تاركة الملابس القديمة والمفتاح في ارض الغرفة. انتظرت دقائق لتلتقط انفاسها وتنزل الى القاعة الرئيسية حيث ما لبثت ان شاهدت بيرت يقفز السلالم كالمجنون ويقول للموظف:

«هل لديك مفتاح آخر للغرفة رقم ٢٢٠؟»

«هل اضعت مفتاحك يا سيدي؟»

«لا المفتاح مع زوجتي.»

وتابع:

«ما المشكلة اذن؟»

«المشكلة اني طرقت باب الغرفة ولم انل جواباً من زوجتي المفترض وجودها في الداخل.»

«ربما كانت السيدة على الشرفة او في الحمام.»

«مستحيل! فهي بانتظاري. ارجوك اعطني مفتاحاً آخر.»

اخذت لين تراقب دلائل انتصارها في القلق البادي على وجه بيرت، لكنها فوجئت بعدم استمتاعها بذلك مع انها كانت تنتظر هذه منذ زمن بعيد.

فكر الموظف قليلاً وقال:

«سأتصل بالغرفة بواسطة الهاتف.»

www.elromancia.com

فعل ذلك من دون ان ينال جواباً فالتقط بيرت السماعة من يده صائحاً:

«قلت لك احضر المفتاح، فلربما اصابها مكروه وهي في الغرفة وحدها.»

لم يجد الرجل بداً من جلب مفتاح ثان . ورافق بيرت الى الغرفة بعد ان استدعى موظفاً آخر يحل محله. اقتربت لين من المكتب طالبة مفتاح غرفتها المحجوزة باسم لين ماكسويل، فسألها العامل:

«ما رقم غرفتك يا سيدتي؟»

لم تتذكر لين رقم الغرفة على الفور وكادت تعطيه رقم الغرفة التي حجزها بيرت لكن الرقم عاد الى ذاكرتها فجأة لحسن الحظ. ناولها الرجل المفتاح فصعدت السلالم ويدها على قلبها الثائر، واحست ان هذه الرحلة هي الاطول في حياتها بسبب الخوف والاضطراب الهائلين اللذين يستبدان بها في هذه اللحظات الخطيرة . وفي طريقها الى الغرفة لمحت بيرت وعامل الاستقبال واقفين امام الغرفة المفتوحة يتجادلان، غير انها لم تستطع سماع شيء من الحديث فتابعت الصعود الى غرفتها حيث سقطت على السرير مجهدة خائرة القوى بعد يوم طويل مضن.

مكثت في السرير ساعات وساعات تتصور ما قد حصل لبيرت. فهو لا بد قلب الفندق بحثاً عنها مذعوراً حائراً. وابتسمت وهي تتخيله يمضي ليلة

زواجه الاولى على عكس ما كان يأمل ويتمنى. اما ادارة الفندق فلن يمكنها ان تساعده بشيء خاصة وان خلاف العرسان ليس بالامر المستغرب والنادر، فالفندق عرف ولا شك احداثاً مماثلة. بيد ان القضية ستنقلب جدية بعد العثور على الحقيبة والملابس المتروكة في غرفة الخدم ومفتاح غرفة بيرت بينها، الامر الذي سيزيد بيرت حيرة وارتباكاً.

ومرة جديدة غمر لين ذلك الشعور الغريب بعدم الرضا عما حصل كأن عملية الثأر اضحت واجباً لا هدفاً كما خططت، وكمن غاص في أمر ولم يعد بوسعه الاحجام عنه.

خلعت ملابسها وحرصت على وضع الثوب الازرق الذي كانت ترتديه بصحبة بيرت على حدا حتى تتخلص منه في الصباح، فلربما قاموا بتفتيش كل الغرف بحثاً عن العروس الضائعة نيتا لويس داين.

عادت لين الى السرير عاجزة عن النوم وعن التفكير معاً ففكرها مشوش وعقلها غير قادر على العمل بمنطق. وفجأة سمعت سيارة مطلقة صفارة الانذار تتوقف قرب الفندق. علمت ان بيرت استدعى رجال الشرطة ليعاونوه على حل لغز اختفاء زوجته، او ان ادارة الفندق استدعتهم بعد العثور على الحقيبة والملابس. وظلت لين ساهرة طوال الليل لا يغمض لها جفن تنصت الى الاصوات في الخارج، اصوات نزلاء الفندق يعودون الى غرفهم من أماكن السهر

وأصوات المزيد من سيارات الشرطة وأوامر تعطى بالعربية التي لا تفهم منها شيئاً.

عندما انبلج الفجر قامت من سريرها والقت نظرة من النافذة لترى مجموعة من رجال الشرطة موزعين يبحثون عنها او عن دليل يشير الى مكان وجودها، كما رأت غيرهم يقومون بالمهمة عينها على الشاطىء القريب من الفندق. واستنتجت من ذلك ان بيرت يشك في انها انتحرت برمي نفسها في مياه البحر هرباً من استحقاقات الزواج.

نزلت الى مطعم الفندق لتناول الفطور والخوف يسحق قلبها، ثم حجزت لها مكاناً في باص متوجه الى مدينة مونستير في جولة سياحية، واضطرت الى انتظار موعد الرحيل بعض الوقت.

اخيراً حان موعد الذهاب بعد وصول جميع الركاب، ولما قامت لين تنتظر دورها للصعود الى الباص توقفت بقربها سيارة ترجل منها ثلاثة رجال كان بيرت احدهم. وعلى الفور وضعت نظارتيها السوداوين لئلا يتعرف اليها واخذت تنظر اليه بثيابه التي كان يرتديها البارحة والتعب والقلق يبدوان عليه جليين كأنه شاخ بليلة واحدة عشرات السنين. عندها فقط علمت كم كانت اللطمة موجعة والانتقام رهيباً، فبيرت الآن انسان محطم فقد أملاً ملأ حياته الفارغة وركض في صحراء نحو سراب ظنه ماء يروي عطشه الى الحب والحنان. بلحظة عاد بيرت

وحيداً واضاع نيتا التي جاءت لتنتشله من الوحدة الغارق فيها.

جالت لين في مونستير مع السياح الآخرين تستمع الى الدليل يقدم شرحاً بلغات مختلفة عن اهم المعالم. وصعدت الى البرج المطل على المدينة وشاطئها الذهبي المترامي. ولما حان موعد الغداء وانصرف السياح الى المطاعم التي اختاروها ذهبت لين الى الشاطىء واستأجرت زورقاً صغيراً ابتعدت فيه مسافة كبيرة نحو عرض البحر حتى تأكدت من ان احداً لا يستطيع رؤيتها، فنزعت الشعر المستعار وغاصت الى عمق المياه مرات عدة لتحفر حفرة كافية لدفن الثوب الازرق وتغطيته بالحجارة لئلا يطفو من جديد. خرجت من المياه منهكة ومسرورة في الوقت نفسه لانها تخلصت من دليل يفضح عملها ويفسر انتقامها.

سرى خبر اختفاء العروس في الفندق سريان النار في الهشيم. وقام رجال الشرطة بتحقيقات دقيقة لاكتشاف ملابسات الحادث فاستجوبوا جميع النزلاء بمن فيهم لين. وسألها احد رجال الشرطة حاملا صورة صغيرة لنيتا لويس:

«هل رأيت هذه الصورة في الفندق يا سيدتي؟»

«لا، لم أرها في حياتي.»

استغربت لين عدم رؤيتها بيرت في الفندق لمدة يومين فأين عساه يكون وماذا تراه يفعل؟ وامضت

الفتاة معظم اوقاتها في اسواق المدينة بانتظار ان تكمل خطتها لانها لم ترو غليلها تماماً وتنوي اذكاء النار التي تكوي قلب بيرت.

اشترت من احدى المكتبات جريدة محلية ناطقة بالانكليزية عنوانها الرئيسي: عروس انكليزية تختفي يوم زفافها. وقرأت في الخبر المرفق بصورة لها مع بيرت ان رجال الشرطة يشكون في ان نيتا لويس داين راحت ضحية عملية اختطاف وان لم يظهر اي اثر بعد للخاطفين الذين يسعون عادة وراء فدية.

في مساء ذلك اليوم سهرت في نادي الفندق الليلي تشاهد عروضاً في الرقص وبقيت فيه حتى الثالثة صباحاً حين توجهت الى قلب المدينة. وهناك تدبرت امر العثور على هاتف اتصلت بواسطته بالفندق وتحدثت الى الموظف بالفرنسية طالبة التحدث الى السيد بيرت داين لامر عاجل.

لم يطل الامر حتى سمعت صوت بيرت الذي لم يكن نائماً على ما يبدو بانتظار اي جديد عن زوجته.

اجاب والتعب يخنق صوته:

«نعم.»

«انتظرت لين قليلاً قبل ان تقول:

«بيرت.»

«نيتا حبيبتي! اين انت؟ ماذا حل بك؟»

تكلم المسكين وفي كلامه مزيج من الألم واليأس فاستغلت لين ذلك لمزيد من الاذى وقالت:

«انقذني يا حبيبي.»

«اين انت؟»

كان عليها الاجابة بسرعة لئلا يكتشف رجال الامن مصدر المكالمة لانهم يراقبون الخطوط بالتأكيد.

«لا اعلم بالضبط فقد اشربوني شيئاً مخدراً ولكن اظن اني في مكان قريب من السوق لاني لمحت وهم يقتادوني بالسيارة نبعاً صغيراً...»

قاطعها بيرت والقلق يعصره:

«انظري الى رقم الهاتف فبواسطته نحدد المنطقة.»

«لا استطيع رؤية الرقم لان الظلام يلف هذا المكان ولا ارى كيف يمكنني استعمال الضوء. لقد اوثقوني باحكام في السرير بيداني افلحت في الافلات والوصول الى الهاتف. انقذني يا بيرت من براثنهم فقد سمعتهم يقولون انهم سيأخذوني الى مكان آخر غداً... يا الهي! ها اني اسمع وقع اقدامهم...لا!..»

اوقعت السماعة عمداً وسمعت بيرت يصرخ مماغيَ باسمها، فالتقطتها ثانية واقفلت الخط مبتسمة مسرورة بمعاناته.

عادت لين الى الفندق عبر الشاطىء مطمئنة الى ان الوقت لم يكن كافياً لاقتفاء اثر المكالمة، ولكنها ادركت فجأة ان هذا القدر من تعذيب الآخرين ليس سوى سادية معيبة لا تبرير لها مهما كان مقدار الاذى الذي الحقه بيرت بها في الماضي. ولكن لا مجال للتراجع الآن فجرحه انفتح وعليها جعله

ينزف حتى الموت كما امات مشاعرها واحرق آمالها وراء القضبان الحديدية.

في الصباح التالي توجهت الى سوق المدينة لترى مفعول مكالمتها بعدما اشارت الى النبع الصغير، وبالفعل لمحت عدة رجال امن يحومون حول المكان ويسألون المارة والتجار محاولين العثور على دليل يقودهم الى مكان وجود المخطوفة. اكملت لين طريقها نحو سوق المحلات التي تبيع الجلود الاصيلة الفاخرة حيث شاهدت بيرت بصحبة رجلين يحاولان تهدئته اذ كان يخرج من متجر ليدخل الى آخر صائحاً بوجه صاحبه مستوقفاً المارة، كان كالمجنون يبحث عن حبيبته التي سلبته اياها براثن الشر وحرمته اسعد ليلة في حياته. وعلى الفور اندست لين بين مجموعة من السياح وعادت معهم في الاتجاه المعاكس نحو سوق الحرير.

هناك وقفت تراقب احدى الواجهات وعينها على مكان وجود بيرت بانتظار اللحظة المناسبة. ولما رأت رجلين من السكان المحليين يتجهان ناحيتها خلعت الشعر المستعار والنظارتين واندفعت نحوهما فدفعتهما مولولة متظاهرة بالهرب من قبضتيهما:

«بيرت ! النجدة ! يا بيرت.»

ثم ركضت نحو سلم حجري قديم وصعدت الى شارع آخر في السوق حيث اعادت وضع الشعر المستعار والنظارتين، وعادت الى مكان الحادث لتشاهد احد

الرجلين مطروحاً ارضاً ورجال الشرطة يمسكون بالآخر وبيرت الذي يحاول الاجهاز عليه كما فعل برفيقه المسكين. فاخذت تضحك سراً وهي مسرورة بالشغب والفوضى اللذين احدثتهما. ثم انضمت الى جموع السياح وعادت الى الفندق لتمكث في غرفتها حتى الصباح حيث سددت الحساب وذهبت الى المطار بالباص لتستقل اول طائرة عائدة الى انكلترا.

www.elromancia.com

الفصل السابع

اعلن صوت المذيع في مطار مدينة نيس الفرنسية: نأسف لاعلام المسافرين الكرام ان اقلاع الطائرة في الرحلة رقم ٩٠٧ المقررة الى لندن سيتأخر نحو ساعة لاسباب طارئة.

كانت هذه المرة الثالثة يعلن فيها عن تأخير والمسافرون جالسون في قاعة الانتظار يتململون شاكين. اما لين فلم تجد سوى اعادة تصفح مجلة الازياء التي في يدها للمرة الثانية والنظر الى ساعتها حيناً بعد حين وعقاربها تقترب من السابعة مما يعني انها لن تصل الى شقتها في لندن الا في وقت متأخر من المساء. غير ان غداً يوم عطلة فيتاح لها النوم قدر ما تشاء وتعوض بعضاً من ارهاق الاسبوعين الماضيين. فوظيفتها في فرع العلاقات العامة التابع لاحدى كبريات شركات صناعة الالكترونيات في انكلترا اوجبت عليها التنقل مع زبائن كبار في فرنسا وسويسرا حيث اطلعت على سير الامور في التحضير لمعرض ضخم لمنتجات الشركة سيجري افتتاحه في الشهر المقبل. وبرغم التعب فقد وجدت متعة في عملها الذي حصلت عليه فور رجوعها من تونس، ذلك لأن فيه تحدياً وتجدداً دائمين في التعامل مع الزبائن وفن اقناعهم بجودة

المنتجات التي تصنعها الشركة وحملهم على التعاقد لشراء كميات منها باسعار عالية تناسب اهمية الصناعة الالكترونية المعقدة. غير ان عملها الذي مر عليه اكثر من سنة حتى الآن بدأ يرهقها، وما زاد في تعبها، تأخر الطائرة التي ستعيدها الى لندن بعد اربعة عشر يوماً من الرحلات السندبادية بين فرنسا وسويسرا. وعندما سألت مكتب الاستعلامات عن طائرة اخرى متوجهة الى لندن افيدت ان الرحلة الوحيدة الى هناك الليلة هي على متن طائرة تابعة للشركة العالمية ستتوقف في نيس في طريقها من كوريا الجنوبية الى لندن. وبالطبع فضلت لين الانتظار على ان تغامر وتستقل طائرة قد يشاهدها فيها احد من زملائها او زميلاتها السابقين برغم انهم لن يتعرفوا اليها بعد عملية تغيير الوجه، والآخرون الذين قابلتهم في سنغافورة لن يتعرفوا اليها كذلك لأن شعرها عاد الى لونه الطبيعي وعينيها تحررتا من العدستين اللتين رمتهما في تونس مسرح انتقامها الرهيب من بيرت. ومع ذلك يظل الابتعاد عن الشركة العالمية آمن واحسن تحسباً للمفاجآت.

بعد نصف ساعة نهضت لين لتتناول مرطباً وما كادت تنتهي حتى اعلن المذيع عن اقلاع فوري للرحلة ٩٠٧ بعد ابدال الطائرة بأخرى. فتوجهت فوراً الى الباب المحدد وتم نقل الركاب الى الطائرة حيث سادت الفوضى في احتلال المقاعد وتقسيم

الطائرة منطقة للمدخنين واخرى لغير المدخنين.
وجدت لين لنفسها مقعداً قرب سيدة عجوز فجلست وربطت حزام الامان اذ بدأت محركات الطائرة تدور استعداداً للاقلاع. وراحت احدى المضيفات تتفقد الركاب في مقاعدهم وتتأكد من ربطهم الاحزمة فوصلت الى لين التي رفعت عينيها لترى ان المضيفة ترتدي بزة الشركة العالمية للملاحة الجوية، فسألت:
«اليس من المفروض ان نكون على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الاوروبية؟»
اجابت المضيفة مبتسمة:
«هذا صحيح، ولكن الشركة اضطرت لاستئجار طائرتنا بطاقمها لتقوم بالرحلة الى لندن لآن الفنيين اخفقوا في اصلاح العطل.»
«شكراً على الايضاح.»
اثار ذلك الرعب في نفس لين خوفاً من حدوث شيء ما ولكن ما ان ارتفعت الطائرة عن الارض وبدأت المضيفات بجلب المرطبات للمسافرين حتى تبددت مخاوفها البلهاء وهدأت اعصابها التي ثارت الى درجة انها فكرت في النزول من الطائرة قبل اقلاعها.
ارجعت لين مقعدها وحاولت النوم بينما الطائرة تشق عباب السماء، لكنها لم تستطع النوم متقلبة في مقعدها حتى كادت توقع المنديل الحريري المعقود حول شعرها. فحاولت اصلاحه عبثاً اذ لا مرآة

لديها، لذلك قامت الى حمام الطائرة الخلفي لتغسل وجهها وتسرح شعرها. ومرت بين الركاب النائمين او الذين يقرأون بهدوء لتصل الى ذيل الطائرة حيث وجدت ان دورتي المياه مشغولتان فانتظرت قليلا خلو احداهما. وفجأة استدارت احدى المضيفتين العاملتين هناك على تعبئة المرطبات للمسافرين وصاحت:
«نيتا.»
وقبل ان يتاح للين التهرب وجدت نفسها واقفة امام جوليا كونورز المضيفة التي تقربت بواسطتها في سنغافورة من بيرت. وتجمدت في مكانها عاجزة عن التحرك او التفكير لاعنة سوء الطالع الذي دبر لها هذه الصدفة. وفي تلك اللحظة شغر حمام فدخلته على الفور واقفلت الباب وراءها في اغرب عملية فرار. ومن شق الباب شاهدت جوليا تجر عربة المرطبات والسندويشات نحو وسط الطائرة. ماذا عساها تفعل الآن لتهرب من هذه الورطة؟ كيف تقنع جوليا بانها مخطئة ولا علاقة لها بالمدعوة نيتا؟ نظرت لين الى المرآة وادركت ان تغطية شعرها بالمنديل جعلت جوليا تتعرف اليها برغم اختلاف لون العينين، وما عليها بالتالي سوى نزع المنديل لتعود لين ماكسويل التي لا تمت بصلة الى المسكينة نيتا لويس داين ضحية عملية الخطف في تونس.
وهكذا حررت شعرها من المنديل والدبابيس واسدلته

www.liromancia.com

على كتفيها بعد تسريحه بالفرشاة وغطت جبينها بغرة تستر وجهها قدر الامكان. ولما همت بالخروج سمعت صوت بيرت يقول:

«في اي حمام؟»

اكتملت الفاجعة، فلم يكن كافياً وجود جوليا على الطائرة بل تبين ان بيرت يقودها والمضيفة اسرعت لاعلامه بما شاهدت واحضاره ليتأكد بنفسه.

هل تجد لين مخرجاً من هذه المصيدة الجديدة؟ ولو استطاعت خرق معدن الطائرة والقاء نفسها في الهواء لما قصرت لحظة، فالموت هكذا اسهل الف مرة من الموت البطيء في مواجهة بيرت. كيف لها ان تقنعه انها ليست نيتا؟ هل باظهار جواز السفر الذي يحمل اسم لين ماكسويل؟ خياران احلاهما مر كالموت.

وبينما هي تحاول ايجاد حل سمعت طرقة على الباب ارتعدت لها فرائصها وكادت تسقط الحقيبة من يدها، لكنها تمكنت من ان تقول:

«لحظة واحدة لو سمحت.»

وبسرعة اخرجت من حقيبتها ما تيسر من ادوات الزينة وغطت شفتيها باحمر شفاه كثيف وعينيها بصباغ ازرق براق، كل ذلك لتبعد الشبهة عنها لان نيتا لويس لم تكن تضع الشيء الكثير على وجهها. وأخيراً فتحت الباب وخرجت مخفضة رأسها ومعتذرة:

«آسفة لتأخري.»

غير ان بيرت لم يكن ليدعها تفلت ببساطة فقبض على ذراعها بقوة حتى كادت تصرخ وقال:

«اسمحي لي يا آنسة.»

تغلبت لين على خوفها واستدارت لتواجه بيرت فاذا بها ترى فيه رجلاً مختلفاً تماماً عن الذي عرفته، فملامحه الوسيمة ترزح تحت اثقال الحزن والهم وعيناه الساحرتان فقدتا بريقهما بفعل العذاب والمعاناة.

نظر اليها الرجل بتمعن والتردد ظاهر على محياه لا يدري ماذا يقول. فاخذت لين الباردة وقالت:

«بيرت! بيرت داين، اليس كذلك؟»

لا شعورياً شدد الرجل قبضته على ذراعها مجيباً:

«نعم.»

نجحت لين في رسم ابتسامة مزورة على شفتيها واضافت:

«كم غيرك الوقت يا بيرت.» ولما بقي صامتاً اضافت:

«يبدو انك لم تعرفني، انظر اليّ جيداً.»

امعن النظر اليها لكن قوله عكس فشله:

«لا اذكر اسمك، مع الاسف.»

«انا لين، لين ماكسويل التي عملت معك منذ مدة طويلة.»

ارتاحت عندما رأت الذهول والدهشة يتسللان الى

نظراته وشعرت بيده تحرر ذراعها المتألمة ويقول:

«لم يخطر ببالي ابداً انك لين.»

«لماذا اوقفتني اذن؟»

«لقد ظننتك المضيفة امرأة اخرى.»

وهنا تدخلت جوليا:

«اقسم لك اني رأيتها.»

قاطعها بيرت بحدة:«لا شك انك مخطئة.»

وباشارة من يده صرف المضيفة ليتوجه الى لين:

«تبدين مختلفة كثيراً عن السابق.»

«قد يتغير المرء تماماً خلال خمس سنوات.»

اجال عينيه متفحصاً اياها فلم تستطع كتم شعور بالحرج والارتباك وقالت:

«لن اؤخرك اكثر عن قيادة الطائرة.»

توجهت نحو مقعدها مضيفة:

«سررت برؤيتك يا بيرت.»

شعرت لين وهي تبتعد عنه ان نظراته سهام تنفذ الى داخلها وتعريها من الستار المزيف الذي لفت به نفسها. وما ان غرقت في مقعدها حتى شغلت نفسها بصحيفة تلهيها عن التفكير ببيرت وبلحظات الهلع التي اجتازتها.

وبعد طول انتظار حطت الطائرة في مطار هيثرو في لندن وان بخبطة قوية اخافت المسافرين اذ يبدو ان بيرت فقد توازنه عندما رآها وكاد يودي بالطائرة وركابها.

كانت لين اول من غادر الطائرة الى الباص ومنه الى اروقة المطار راكضة حتى تنهي المعاملات الشكلية وتعود الى بيتها. ولسوء حظها تأخرت في استلام حقيبتها والمرور بحاجز الجمرك، وفيما هي تدفع العربة بالحقيبتين الثقيلتين باتجاه موقف سيارات الاجرة سمعت صوت بيرت يقترح:

«دعيني اساعدك في دفع العربة.»

صدمة جديدة ارعبتها وكأن الليل الطويل لن يعرف نهاية. وبدون ان ينتظر منها رداً امسك بيرت بدفة القيادة سائلاً:

«اقرأ على حقيبتك اسم كيلبورن. هل تقيمين هناك؟»

«نعم وسأستقل القطار الى المنزل.»

كذبة حاولت بها صرفه، غير انه لم يزل محافظاً على ميزة العناد والاصرار اذ قال:

«انه يوم الحظ بالنسبة اليك فأنا ذاهب بسيارتي الى المنطقة نفسها وارحب بذهابك معي.»

اي وصف ينطبق على هذا اليوم باستثناء كلمة حظ، فلين لم تكن تحسب حساباً لهذا اللقاء المزعج، وهي حاولت التهرب من جديد فقالت:

«لا ضرورة للازعاج فالقطار يوصلني الى البيت بسهولة.»

«لا ازعاج البتة والقطار سيرهقك بعد تعب الانتظار في مطار نيس.»

www.elromancia.com

انبأها حدسها ان في كلامه شكوكاً فجزعت ولم تزد في الرفض.

«حسناً سأذهب معك شرط الا تغير طريقك من اجلي.»

«لا، ابداً.»

دفع بيرت العربة باتجاه المخرج المخصص لافراد الطواقم ولين تحث الخطى لتلحق به وهي تتساءل ما اذا كان تبعها عمداً ام ان ذلك حصل مصادفة. واخيراً توقف بيرت قرب سيارة فخمة وضع الحقيبتين في صندوقها بعد ان رمق لين بنظرات ذات الف معنى ومعنى، غير ان الفتاة سيطرت على خوفها بعد ان عاد اليها الشعور بالحقد والكراهية تجاه هذا الرجل الذي جعل من الاتجار بالممنوعات وسيلة للعيش الرغيد ومنه شراء هذه السيارة الفخمة.

قاد بيرت السيارة ذات المحرك القوي بسرعة ونعومة، وسرعان ما بلغا وسط مدينة لندن المزدحمة. وخلال الطريق لم يتكلم الا عندما طلب منها اعطاءه علبة السكائر الموضوعة على المقعد الخلفي ففتحها واشعل سيكارة ثم استدرك وقال معتذراً:

«آسف لاني لم اقدم لك سيكارة، ولكنك لا تدخنين على ما اذكر.»

«ذاكرتك لم تخنك.»

قالت ذلك وهي تسأل نفسها ما اذا كان يذكر اشياء اخرى عن لين ماكسويل كأنفها المميز مثلا والذي

تغير تماماً بعد الجراحة التجميلية. تجاوز بيرت منطقة ريجنت بارك قاصداً شمال المدينة لكنه ما لبث ان توقف قرب احد المقاهي وقال:

«لننزل ونحتسي فنجانين من القهوة.»

«افضل التوجه الى المنزل مباشرة لاني مرهقة فعلاً.»

امتلأت السيارة بجو من التحدي خاصة عندما اصر بيرت:«عشر دقائق جديدة لن تميتك بعد ساعات من الانتظار.»

رضخت لين للأمر الواقع بعدما طلبت منه الا يتعدى الامر الدقائق المعدودة لانها كادت تغفو في السيارة.

دخلا المقهى المعتم ذا الاجواء الانكليزية الداكنة التي تذكر بلندن القرن السابع عشر واختارا طاولة قريبة من المدفأة حيث تضرم نار كبيرة جالبة الدفء. جلست لين بينما توجه بيرت لاحضار القهوة وعيناها عليه تتأملان قامته المديدة عاجزة عن طرد احاسيس شبيهة بما كان يحتلج في قلبها منذ زمن.

عاد بيرت حاملا القهوة وبعض البسكويت فارتشف قليلا من فنجانه وسأل:

«ماذا كنت تفعلين في فرنسا؟»

«كنت في اجازة لاسبوعين.»

«مع من؟»

www.elromancia.com

«وحدي.»

لم يقتنع بيرت بالجواب الاخير غير انه لم يصر فتابع اسئلته:«ماذا تعملين في هذه الايام؟»

«وظيفتي مكتبية تشتمل التوثيق والضرب على الآلة الكاتبة ما شابه.»

«اين مركز عملك؟»

«في لندن.» ولتجعل الجو طبيعياً هادئاً اضافت:

«ارى انك ترقيت من مساعد طيار الى طيار، غير اني اذكر حبك للسفرات الطويلة فلماذا اخترت خط نيس – لندن؟»

«عملت طويلا على الخطوط البعيدة ولم انتقل الى اوروبا الا منذ فترة وجيزة.»

لم يزح عينيه عنها اثناء الجلسة، الامر الذي جعلها تتوتر وتنظر الى ساعتها قائلة:

«اليس من المفروض ان يقفل المقهى الآن؟»

«لا تخافي فعندما ينوون الاقفال سيطردوننا.» امسك معصمها الايسر متفحصاً يدها واضاف:« ارى انك غير متزوجة او مخطوبة مما يعني ان لا احد ينتظرك في البيت.»

تمنت لين الا يكون شعر بارتجاف يدها فسحبتها وقالت:

«ما زلت اعيش وحيدة.»

«اليس هناك احد في حياتك؟»

اجابت باقتضاب وبرود:«لا.»

ساد الصمت بينهما ورأت لين انه يتوقع ان تقول له شيئاً والشيء الوحيد الذي يجب ان يقال لبيرت يتعلق بالحادثة مر بها. ومن جهة اخرى خوضها هذا الموضوع يبعد عنها الشبهة. فشحنت عينيها بالأسى والأسف وقالت:

«آسفة لما حصل لزوجتك فقد قرأت عن الحادثة في الصحف.»

اوشكت دموع الحزن ان تترقرق في عينيه ولم يجد سوى كلمة واحدة:

«شكراً.»

«هل استطاعوا... هل عثرت...»

خانتها العبارات فالبراعة في الكذب لها حدود ولين لا تقدر على الذهاب اكثر من ذلك في هذه اللعبة المتمادية كون الرجل الجالس امامها محطماً شر تحطيم. فهم بيرت مقصدها فأجاب:

«لم يتوصل رجال الشرطة الى كشف اي خيط او العثور على اي اثر لها.»

استوى في مقعده مردفاً:

«اتعلمين انك تشبهينها كثيراً برغم اختلاف لون الشعر والعينين ولهذا ظنتك المضيفة نيتا.»

ادعت لين الدهشة فقالت:

«اذكران المضيفة نادتني باسم زوجتك على الطائرة لكنني لم انتبه للأمر. فهمت الآن لماذا القيت القبض علي اذن.» ضحكت وتابعت :

«ظننت انك جئت لتلقي عليّ التحية بعد كل تلك السنوات.»

«اعترف اني نسيتك تماماً يا لين لكن الشبه بينك وبين نيتا كبير جداً.»

اطلقت لين ضحكة جديدة قائلة:

«لا غرابة في ذلك لان الرجال يسعون عادة ولا شعورياً وراء نموذج معين من الفتيات يعجبهم، واظن ان الكثيرات من اللواتي تعرفت اليهن يشبهنني.»

اشعل بيرت سيكارة جديدة وقال:

«تفسير معقول يصدر من خبيرة بأمور الرجال.»

«ومن اين آتي بالخبرة؟ امن سجن النساء ؟»

ندمت لسماحها للسانها بالتفوه بهذه الكلمات وتمنت لو انها تختفي من الوجود في هذه اللحظة فترتاح من مواجهة بيرت الذي زادها حرجاً بسؤاله:

«وهل امضيت في السجن سنة او اكثر؟»

تلقت الفتاة هذه الكلمات بمرارة لانها تعني ان بيرت لم يكن مكترثاً لها الى درجة انه نسي مدة عقوبتها.

«حكمت علي المحكمة بثلاث سنوات.»

«الم يمنحوك تخفيضاً لحسن السلوك؟»

«لا، فقد اكملت المدة حتى الدقيقة الاخيرة.» نهضت لين من كرسيها مضيفة:«اود الذهاب الآن لو سمحت.»

«هيا بنا.»

سبقته الى السيارة ريثما يسدد الحساب. واكملا

طريقهما بصمت الى ان بلغا البناء الذي تقطن فيه فترجلت من السيارة واخرجت حقيبتها من الصندوق عندما ترجل بيرت بدوره وقال:«احد زملائي الطيارين يقيم حفلة غداً مساء بمناسبة ذكرى مولد زوجته في منزله الصيفي في مقاطعة كنت، فما رأيك بمرافقتي؟»

«شكراً على الدعوة، لكن اشغالي الكثيرة ستحرمني تلبيتها.»

«كما تشائين، فلنستعض عنها بعشاء سريع اذن.»

قالت:

«لا يمكنني.»

اسرعت يد بيرت الى اقفال فمها فجاءت ملامسته كصفعة هزت كيان لين تبعها قوله الجازم:

«عشنا اياماً جميلة معاً افسدها سوء تفاهم سخيف، فلنحاول تنقية الاجواء الآن بعد انقشاع الغمامة.»

الم يجد تعبيراً عن اتهام احدهما الآخر بارتكاب جريمة خطيرة سوى سوء تفاهم سخيف. اغتاظت لين لذلك وقالت بقساوة:

«انا لا اخرج مع رجال متزوجين.»

اثار قولها ضحك بيرت المجبول بالمرارة الناضجة من كلماته:

«متزوج؟ وهل تسمين رجلا اختفت عروسه بعد ساعات من الزفاف رجلاً متزوجاً؟» مرر يده على وجنتها واضاف:

www.elromancia.com

«ارغب في رؤيتك من وقت الى آخر فأنا اقضي معظم وقتي في انكلترا.»

اكرهت لين عقلها على التفكير برغم صعوبة الموقف. فالى ماذا يرمي بيرت بعد ما حصل بينهما؟ وما السبيل الى التهرب منه بعد ان عرف عنوانها؟ قررت مسايرته موقتاً حتى تتدبر لها منزلاً جديداً وتهرب منه.

«متى علينا مغادرة لندن في حال اردنا الذهاب الى الحفلة الراقصة؟»

«في حوالى السابعة مساء لأن الرحلة تتطلب ساعة.»

«حسناً يا بيرت، سأنهي ما عليّ واذهب الى الحفلة على امل ان تكون مسلية.»

«لا تقلقي فمعروف عن بوب فريمان انه يقيم حفلات رائعة.»

افترقا بعد الاتفاق على اللقاء هنا في السابعة ولين لا تبغي من ذلك سوى الوقت الكافي لتوضيب حقائبها والنزول في فندق حتى تجد مكاناً تقطن فيه بعيداً عن بيرت ومتاعبه.

عجزت الفتاة عن النوم برغم الارهاق الشديد لان بيرت بقي ماثلاً في ذهنها طوال الليل يقض مضجعها ويحرمها التمتع بقسط ولو يسير من الراحة. بقيت صورة وجهه المتعب والذي شاخ بسنة واحدة منطبعة في مخيلتها تعيد اليها ذكريات بشعة

تتمنى ان تنساها وتدفنها في غياهب الماضي الحزين.

في الثامنة والنصف اتصلت باحد مكاتب السيارات ليرسلوا لها سيارة في التاسعة، لكن المفاجأة المذهلة حصلت بعد خمس دقائق فقد رن جرس الباب وفتحت لتجد بيرت واقفاً امامها كشبح خارج من كابوس مزعج. وبالطبع لم ينتظر الرجل دعوة بالدخول اذ اقتحم الشقة ليجد الحقائب محزومة والأثاث مغطى فقال بشيء من الحدة:

«اراك راحلة؟»

اقفلت الباب وواجهته قائلة:

«لا، ولكني كنت تعبة في الامس فلم اكلف نفسي مشقة فتح الحقيبتين.»

«ولماذا غطيت الاثاث بالشراشف؟»

«لئلا يمتلىء بالغبار اثناء غيابي في فرنسا.»

«ولمن هذه الكتب الموضوعة في الصناديق؟»

«انها لصديقتي التي مكثت في الشقة بعد خلافها مع زوجها.»

تابع بيرت الاستجواب:

«وهل هي هنا الآن؟»

تنفست لين الصعداء بعد ان انطلت عليه الكذبة وأجابت:

«عادت الى بيتها بعد تسوية الخلاف وسترسل في طلب اغراضها يوم الاثنين.»

نظرت اليه يقف في وسط الغرفة التي كانت لها ملاذاً فاذا به يحولها جحيماً لا تعرف كيف تولي الادبار لتتخلص منه، وتابعت:

«ما الذي جاء بك في هذه الساعة المبكرة؟»

«حدث تغيير مفاجىء في البرنامج فبوب لم يستطع توفير الوقت الكافي للتحضير للحفلة، لذا طلب مني الذهاب الى المنزل لتحضيره.»

«وتريدني بالتالي ان أوافيك في المساء.»

«ليس تماماً، بل اريدك ان تذهبي معي منذ الآن لنمضي النهار معاً.»

«سبق وابلغتك ان مشاغلي كثيرة اليوم.»

«الا يمكنك تأجيلها الى الغد؟»

اجابت الفتاة الحائرة:

«امامي نهار طويل من التسوق...»

اقترب منها ووضع يديه على كتفيها وقال:

«ستذهبين معي.»

«بالطبع ولكني افضل موافاتك في المساء.»

«لن تستطيعي بلوغ المكان من دون سيارة.»

«سأستأجر سيارة.»

«العنوان معقد للغاية ولن يمكنك الوصول بسيارة اجرة. من الافضل ان تأتي معي الآن.»

في هذه اللحظة رن جرس الباب من جديد فتولى بيرت فتحه وأطل رجل قال:

«الم تطلب سيارة الى فندق كوينز بالاس يا سيدي؟»

تشنج بيرت ورمى لين بنظرات حادة كنصل السيف ثم اخرج من جيبه بعض المال متوجهاً الى الرجل:

«هذا ما يعوض تعبك فقد اضطررنا الى تغيير الخطة ولن نحتاج الى السيارة الآن.»

«اقفل الباب وقال للين:

«فندق كوينز بالاس؟»

كانت لين قد اعدت الجواب:

«اذهب الى هناك دوماً لاني اصفف شعري عند مزين يقع محله قرب الفندق.»

«شخصياً ارى ان شعرك ليس بحاجة الى تصفيف.»

ازاء تصميمه ادركت لين ان لا سبيل الى التهرب فالرجل اعند من ان يرجع خائباً، لذلك قررت الرضوخ له فقالت:

«فليكن ما تريد يا بيرت، سأذهب معك الى بيت صديقك هذا، هل استطيع تبديل ملابسي هناك؟»

«بالطبع وانصحك بجلب ثياب البحر فبامكاننا السباحة في حوض المنزل اذا وجدنا الطقس دافئاً.»

نفذت لين اقتراحه ووضعت كل ما يلزمها من ادوات تزيين في حقيبة صغيرة ثم انطلقا بسيارته في رحلة اين منها رحلة معاناة السجن الرهيبة.

مقاطعة كنت من اجمل مناطق انكلترا، فالخضرة فيها مساحات لا تنتهي، وما زادها جمالا ان توقعات بيرت صحت فالطقس تحول دافئاً وكأن الصيف اراد ان يودع الناس بذكرى حارة قبل ان يطرده برد

www.elromancia.com

الخريف. وخلال الرحلة كانت لين تحاول ان تحلل وتعلل سبب اهتمام بيرت بها واصراره على الخروج معها، الأنه يحاول اشعال جذوة حب انطفأ منذ زمن بعيد؟ ام لأنها تذكره بعروسه الضائعة نيتا؟ لا احد يعلم العواقب الوخيمة التي ستحل بلين لو اكتشف بيرت الحقيقة والخديعة التي راح ضحيتها. وصار كل امل الفتاة ان يمضي هذا اليوم بسلام حتى تطلق ساقيها للريح وتختفي من وجه الرجل الذي افسد حياتها.

وفيما هي غارقة في افكارها خطرت لها فكرة جديدة زادتها سوداوية وقلقاً، فماذا لو كان هدف بيرت مجرد مغامرة عابرة؟ ونظرت اليه متسائلة عما فعله بغياب نيتا خلال السنة الفائتة، هل بقي محروماً من النساء وفاء لحبه ام انه نسي او تناسى متاعبه مع نساء أخريات؟ وخشيت ما يخبئه لها هذا النهار عاجزة عن ايجاد سبيل للنجاة من براثن بيرت. ترك الرجل الطريق العام سالكاً دروباً فرعية غير معبدة في نهايتها بيت صغير في حضن تلة خضراء.

برغم تعاظم مخاوفها عبرت لين عن اعجابها بالمكان:

«انه بيت رائع.»

«يستحق تعب الطريق، اليس كذلك؟»

ترجلا من السيارة ولين تقول:

«كنت على حق يا بيرت عندما قلت اني لن اتمكن

من الوصول الى هذا المكان المنعزل عن البشرية وحدي.»

اشار بيده موافقاً:

«اقرب مكان مأهول مزرعة تقع على الجانب الآخر من النهر، كما ان خلو البيت من هاتف يجعله اكثر انعزالاً.»

دخلا حديقة مليئة بالزهور على انواعها يزيدها عفوية عدم الاعتناء بها فتبدو اللوحة الملونة طبيعية لا تدخل ليد الانسان فيها. والعبير الطيب الذي ملأ الجو انسى لين قلقها والرجل الذي بقربها وأثار في نفسها من ذكريات ميامي الحلوة حيث كان بيرت غير بيرت اليوم.

فتحت عينيها على الواقع لتراه يراقبها وشيء من البريق عرف طريق العودة الى ناظريه، هل يسترجع الذكريات نفسها؟ ولتتخلص من نظراته دخلت المنزل ذا السقف المنخفض والمدفأة العتيقة التي تحتل مكاناً كبيراً في غرفة الجلوس. لم يكن في المنزل أثاث كثير، غير ان الموجود يكفي ويريح، فالكنبات العريضة وكراسي القش تتماشى مع جو البيت، وغرفتا النوم في الطابق الثاني مجهزتان بشكل ممتاز اضافة الى الحمامين الكاملين.

بدأ بيرت بفتح النوافذ لتهوئة المنزل المقفل منذ مدة طويلة لأن بوب فريمان صديق بيرت امضى عطلته هذه السنة خارج البلاد ولم يستعمل منزله الصيفي.

www.elromancia.com

بعد ذلك فتح الباب الخلفي المطل على حديقة نما فيها العشب الاخضر كثيراً ما جعل لين تقول:

«عليك ان تقص العشب قبل المساء.»

«سأفعل ذلك بواسطة الآلة الخاصة.»

خلع بيرت كنزته ثم قميصه كاشفاً العضلات القوية والبشرة المحروقة بأشعة الشمس ثم قال:

«لماذا لا تلبسين ثوب خفيفاً كما سأفعل؟»

زعمت لين انها لم تسمع فسألت:

«ماذا علي ان افعل لمساعدتك؟»

«لماذا لا تقطفين تشكيلة من الازهار لتزيين الدار؟»

ناولها بيرت مقصاً خاصاً وسلة فانشغلت بالحديقة تختار ازهاراً متنوعة وتخيف الفراشات الوادعة المطمئنة في هذا الملاذ البعيد عن سطوة الانسان.

شعرت لين اثناء عملها بحر شديد فقررت الصعود الى غرفة النوم وارتداء ثوب البحر لأن البقاء في هذه الثياب مزعج فعلاً.

بينما هي تخلع ملابسها في الغرفة فتحت خزانة مثبتة في الحائط لتعليق ثيابها فرأت بزة طيار وملابس رجالية اخرى. اين ملابس زوجة بوب فريمان التي سيحتفل بذكرى مولدها الليلة؟ اثار ذلك الخوف في نفسها وتحول الخوف الى رعب عندما فتحت درجاً لترى فوق الجوارب والملابس الداخلية صورة لها موضوعة في اطار معدني. كانت الصورة تمثل بيرت ونيتا في ثياب العرس فعلمت عندها ان

بيرت استدرجها الى هذا المكان الذي يخصه ولا يمت بصلة الى المدعو بوب فريمان. في هذا الوقت لم تنتبه لين الى توقف صوت الآلة الكهربائية وصعود بيرت الى الغرفة الا عندما رأته واقفاً يحدق فيها فرمت الصورة على السرير وقالت بسخرية:

«من الواضح ان هذا المنزل يخص صديقك بوب.»

التقط بيرت الصورة وأعادها الى طاولة موضوعة قرب السرير اي الى مكانها الاصلي، فاضافت لين:

«الم تزعم ان هذا البيت يخص صديقاً؟»

اجاب متهكماً:

«لا اذكر ذلك، بل قلت انه يقيم حفلا هنا.» اردف مشيراً الى الصورة:

«ارى انك عثرت على صورة لزوجتي.»

لم تستطع لين التعليق لأنها شعرت بغصة كبيرة في حلقها ففتحت الخزانة وأعادت ارتداء قميصها.

«اليست نيتا جميلة؟»

«نعم.»

«لماذا تعيدين ارتداء ملابسك؟»

غريب كيف يعيد التاريخ نفسه فلين وجدت نفسها في الموقف عينه عندما دخل عليها وهي ترتدي ثيابها في النادي الرياضي في سنغافورة وكما فعلت هناك صاحت:«اخرج من هنا.»

امسك الرجل بقميصها ومزقه شر تمزيق مؤكداً:

«ما يزال الوقت باكراً لاخرج الآن.»

www.elromancia.com

«لا تفعل ذلك يا بيرت.»

«اتعلمين انك تشبهين زوجتي كثيراً؟»

حاولت لين الافلات من قبضته لكنه شدها اليه فانسحقت بين عضلات صدره العريض وعلقت كالفريسة اليائسة تحت انظاره الحادة. وفجأة ادركت ان في عينيه غضباً لا اثارة، ورغبة في القتل لا رغبات اخرى. لا بد اذن انه نصب لها هذا الفخ عمداً ليقتص منها كما يحلو له بعيداً عن اي نجدة محتملة. ولما رأى الخوف في عينيها ابتسم بازدراء فاطلقت لين صرخة رعب مدوية وافلتت من يديه.

لحق بها عند اعلى السلم ولوى يدها كما شد شعرها بعنف جعلها تنفجر باكية من الألم غير قادرة على الحراك او اصراخ.

جرها الى غرفة النوم جراً ورماها على السرير ساحقاً ظهرها بركبته، دافناً وجهها في الوسادة، مردداً:

«آه كم تشبهين زوجتي المختفية! ولا اشك في انك تحملين العلامة الفارقة نفسها على صدرك.»

تركها بعدما تأكد من ان لين ماكسويل ليست سوى نيتا لويس، وانه كان ضحية لعبة خداع مارستها لين منذ البداية ببراعة فائقة. واستغلت الفتاة شروده لتقفز هاربة، بيد انه سرعان ما تبعها وسمرها على الحائط قبل ان تدرك الباب. وبيرت يصرخ كالمجنون:«ايتها الماكرة المخادعة! تستحقين الموت على ما فعلته بي.»

احكم قبضته على عنقها وقال:

«لماذا لا ادق عنقك الجميل هذا واريح العالم منك.»

اطلقت لين زفرة الم واصابعه تغرز في عنقها الناعم، ولما رأت الشرر يتطاير من عينيه ادركت هول الامر فلم تقو على التحمل وسقطت بين يديه بضعف مغمياً عليها.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

شلال من المياه الباردة نجح في اعادة لين الى وعيها فأفاقت مذعورة تمسح الماء عن عينيها لتجد نفسها مستلقية على السرير وبيرت يقف محدقاً كالذئب الكاسر.

وبيأس اطلقت صرخة مخنوقة:

« آه.»

ثم تحسست آثار اصابعه على عنقها واخذت تذرف الدموع غزيرة وهي تتوقع منه هجوماً جديداً. واذ به يجلس على السرير ويبدأ بالاستجواب:

«كيف نجحت في خداعي طوال هذه المدة؟ كيف اوهمتني انك نيتا لويس؟»

ولما رآها صامتة صفعها بقوة مهدداً:

«اجيبي ايتها الحقيرة والا ازهقت روحك.»

نظرت لين الى وجهه الغاضب فعلمت ان لا مجال للتهرب او الكذب، وان عليها البوح بالحقيقة، فاخبرته بصوت متهدج كيف اجرت عملية لانفها وكيف صبغت شعرها ووضعت عدستين ملونتين على عينيها.

لم تكن هذه التفاصيل لغزاً بالنسبة الى بيرت فهز رأسه سائلاً:

«كيف نجحت بالاختفاء في تونس؟»

كفكفت الفتاة دموعها واكلمت يدفعها الخوف من سخطه الى الاعتراف بكل شيء:

« لم اذهب الى ناد لاتبع حمية كما قلت لك، بل توجهت الى تونس حيث حجزت غرفة في الفندق باسمي الحقيقي وعدت الى انكلترا من اجل...»

صمتت فجأة لأن ما اوشكت ان تقوله سيثير سخطه اكثر، لكنه صفعها من جديد لئلا تغفل عنه اصغر تفصيل فقالت:

«عدت من اجل حفل الزفاف.»

عندها ادرك بيرت خيوط اللعبة فاكمل سرد الاحداث:

«وهكذا استطعت الاختفاء بتحولك من نيتا الى لين بطريقة ما، ولا احد سيشك بأن السائحة الانكليزية هي نفسها العروس المخطوفة! وكي تمعني في شرورك اتصلت بي زاعمة ان الخاطفين اخفوك في مكان ما في السوق حيث اسمعتني صراخك في اليوم التالي فزدت في حيرتي وحيرة رجال الشرطة. الم يكفك الجرح العميق الذي فتحته في قلبي حتى تمعني طعناً وتمزيقاً ايتها السادية المجرمة؟»

تحول بيرت الى بركان على وشك الانفجار فاصاب لين هلع شديد وقاومت محاولة الافلات من يديه، غير ا نه اعادها الى السرير بدفعة واحدة، فصاحت:

«انت تؤلمني كثيراً، ارجوك دعني اذهب.»

« طريق الألم ما زال في بدايته يا حلوتي، سأجعلك

www.elromancia.com

تدفعين الماَ وعذاباً ما يكفي لتسديد ديوني! ولا تنسي انك مدينة لي بأشياء اخرى منها الحرمان من ليلة الزفاف الاولى مثلاً.»

واذ بعينيه تجوبان جسمها ولم يأبه بيرت الى توسلاتها ودموعها مصمماً على نيل مأربه بعد طول انتظار. ومن يأسها استمدت لين شجاعة ومن ضعفها قوة، فرفسته بشدة على معدته وافلتت منه، ثم بدل ان تولي الادبار انهالت عليه ضرباً كالمجنونة وانشبت اظافرها في صدره صائحة بنبرة هستيرية:

«ايها الحقير الطماع! ما فعلته بك نقطة في بحر، لانك تستحق اكثر من ذلك.»

اراد بيرت التكلم لكنها سبقته والغضب العارم يطرد الخوف من نفسها:

«لقد سلبتني ثلاث سنوات من عمري! سلبتني اسمي وحرمتني منزلي وعائلتي، رميتني الى الذئاب اصارع للاستمرار وسط عالم الجريمة لا يغذيني سوى الحقد الذي زرعته في نفسي! امضيت ايامي اخطط للثأر منك ايها المهرب الدنيء! وتدعي بعد هذا كله انك مظلوم ومعذب؟»

هدأت الفتاة فجأة وجلست على السرير تحدق في الفراغ واخذت ترتعد كالورقة في مهب الريح وانفجرت باكية. اما بيرت فلم يحرك ساكناً وظل يتفرج عليها لبضع دقائق قبل ان ينهض الى

الخزانة ويخرج منها ثياباً ثم يناولها اياها قائلاً:

«ارتدي ملابسك ووافيني الى الطابق السفلي.»

لم تتحرك الفتاة من مكانها الا بعد دقائق عندما ادركت انها اصبحت وحيدة في الغرفة. فنهضت الى الحمام وغسلت وجهها وسرحت شعرها، ثم ارتدت ملابسها استعداداً لجولة جديدة مع بيرت. فهي تعلم ان الرجل لم ينته منها بعد وانه لم يحضرها الى هذا المكان النائي ليلاعبها، لذلك عليها ان تكون فولاذية الاعصاب لتقوى على مواجهة ما سيأتي.

وجدته ينتظرها في غرفة الجلوس نافثاً دخان سيكارته، فالتفت اليها وامرها بالجلوس فامتثلت لأمره لأن العصيان لن يجدي نفعاً. والغريب ان بيرت بقي صامتاً لدقائق طويلة يحدق وهي تسترق النظر الى عينيه محاولة المواجهة وما تلبث ان تهون وتخسر المعركة.

وبعد طول انتظار قال بصوت متعب:

«لقد كنت على خطأ يا لين منذ حصول الحادثة حتى هذه اللحظة، فأنا قلت واكرر اني لم ادس العلبة في حقيبتك.»

رفعت الفتاة عينيها اليه رافضة التصديق فاكمل:

«ما الفارق ان صدقتني او لا فما مات مات، والسنوات الثلاث مرت.»

انتظر تعليقها لكنها لم ترد فتابع:

«لكن ما حصل اليوم جعلني ادرك شيئاً مهماً وهو

انك بالفعل بريئة من تهمة التهريب وواثقة اني المجرم الحقيقي. في البداية ظننتك تحاولين الايقاع بي لتبرئي ساحتك بعد ان ضاق الخناق حول عنقك واقفلت سبل النجاة في وجهك، اما الآن فجاء ثأرك المحرق دليلاً ساطعاً على براءتك وبراءتي التي ترفضينها.»

نهضت لين من مقعدها قائلة:

«اما تزال تحاول الانكار والقاء المسؤولية عليّ؟ حتى انك تمضي في التنصل من جريمتك النكراء؟»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة الشفقة وهز رأسه مؤكداً بهدوء:

«لست المجرم الذي تبحثين عنه يا سيدتي.»

«غير معقول! اتحاول اقناعي ان انتقامي ضاع سدى.» ارتفعت نبرتها ورددت: «غير معقول! مستحيل!»

«كلانا كان على خطأ، وانا اعترف به الآن فلماذا لا تصدقينني؟»

اقترب منها وامسك بكتفيها مضيفاً:

«انظري الي جيداً وافتحي عقلك الغبي. ما حاجتي الى الكذب الآن؟ انا بريء من مسألة التهريب ولا املك دليلا على صدقي غير كلمة شرف.»

درست لين نظراته لتميز الحق من الباطل فلم تفلح في النفاذ الى ضميره، فقالت بيأس:

« لقد مر وقت طويل جعل الحقد يتأصل في قلبي،

ولن تنجح مجرد كلمة في نزعه ونسيان الماضي.»

ابتعد عنها واتكأ على المدفأة ليشعل سيكارة جديدة ويقول:

«حسناً، ما زلت تعتبرينني كاذباً، ولكن امنحيني الفرصة لاثبت اقوالي على الاقل.»

«ماذا تعني؟»

«فلنفتح تحقيقاً جديداً لاكتشاف الفاعل الحقيقي ولو اضطرنا ذلك للتحقيق مع جميع المسافرين وافراد الطاقم الذين كانوا على متن الطائرة في ذلك اليوم.»

«انت مجنون! فمن يستطيع كشف خيوط جريمة بعد خمس سنوات من حصولها والأدلة قد زالت! ثم لماذا تزعج نفسك وتبحث عن المهرب؟»

اجاب بحزن وكأنه يتمنى ان يكون جوابه مختلفاً:

«لأدفع التهمة عن نفسي واجنب نفسي التعرض لمؤامراتك من جديد.»

«وما الذي يجعلك تعتقد اني سأشاركك البحث عن سراب؟»

ابتسم هازئاً واجاب:

«لا خيار لك في ذلك، لاني لن ادعك تفلتين من قبضتي قبل انكشاف الحقيقة.»

«واذا رفضت البقاء معك؟»

«عندها يصبح لزاماً علي اعلام الشرطة بأن المواطنة الانكليزية المختفية نيتا لويس ما هي الا السجينة

السابقة لين ماكسويل، ولا اعتقد انهم سيسرون كثيراً بانتحالك شخصية زائفة واستعمالك جوازاً مزوراً.»

عجزت لين عن الكلام، فبيرت يملك سلاحاً موجهاً على رقبتها يجعله متحكماً بها. توجهت الى النافذة تنظر الى البعيد باحثة عن حل آخر غير الهرب لأن بيرت سيظل ملتصقاً بها بعد ان وجدها ولن يدعها تغيب عن ناظريه ابداً. اضف الى ذلك ان الخروج من البلاد سيصبح مستحيلا اذا سلم اسمها الى الاجهزة المختصة ولن يمكنها استعمال اي من الجوازين.

حاولت الفتاة فهم مقصده من فتح جديد. الأنه يود ان اتيحت له الفرصة ليثأر منها ويرد الكيل كيلين؟ ام جاد في قوله وبريء حقاً؟ وسرعان ما استبعدت الاحتمال الاخير لانه لو صح فان تأنيب الضمير لن يدعها تعرف الراحة طيلة حياتها.

فجأة خطر لها سؤال جديد:

«كيف ومتى عرفت اني ونيتا لويس شخص واحد؟»

لانت قسمات وجهه وأجاب باسماً:

«عرفتك منذ ان شاهدتك في الطائرة.»

«وبرغم ذلك لم يبدر منك ما يفضح الحقيقة.»

«لقد تعلمت كيف اخفي احاسيسي وانفعالاتي، وهكذا اوهمتك بأنك في مأمن مني حتى استطعت استدراجك الى هذا المكان.»

«لم تقل لي كيف عرفتني.»

روى بيرت فضولها بشيء من السخرية:

«ايعقل ان ينسى المرء شخصاً يحبه ويهيم به ويحتل عقله وروحه؟ ثقي اني اذكر كل التفاصيل والدقائق عنك من نعومة بشرتك الى حركات رأسك ويديك ومشيتك، من صوتك الى ابتسامتك الى الخوف الذي يلوح في ناظريك. كل هذه الاشياء قفزت الى عيني عندما رأيتك في الطائرة، فعلمت على الفور ان لين هي نيتا. وفي اي حال كان لا بد ان نلتقي يوماً، فالهروب مني الى الابد امر مستحيل.»

هنا ذكرته لين:

«ولكني خدعتك في سنغافورة بدور نيتا لويس.»

«لا يسعني سوى الاعتراف بهذه الحقيقة، ومرد ذلك الى غيابك عني فترة طويلة والى تصميمي على حذفك من حياتي بعد دخولك السجن واقتناعي بانك مهربة. وبالرغم من ذلك فقد خالجني شعور غريب ان هناك شيئاً مريباً في تصرفاتك وان لغزاً غامضاً يكتنف طريقة لقائنا.»

أثارت اقواله في نفسها رعشة وارتباكاً فادارت وجهها لئلا يشاهد ذلك وسألت:

«ماذا تريد مني الآن؟»

«اريد اولاً وعداً بأنك لن تحاولي الفرار مرة جديدة.»

«اتثق بوعودي بعد كل ما فعلته بك؟»

مرت لحظة شك قبل ان يجيب: «نعم.»

«وما السبب؟»

«لاني اتفهم موقفك واعلم تماماً اني كنت لافعل الشيء

www.elromancia.com

نفسه لو كنت مكانك، فليس اقسى من البريء المظلوم عندما يود الاقتصاص من جلاده او ممن يحسبه جلاده.»

بدأت لين تخاف من نفسها ومن ضميرها لانها تشعر ان اقواله صادقة ونيته صافية وهكذا اضطرت الى الموافقة:«حسناً، اعدك بأني لن احاول الفرار.»

«فلنناقش الموضوع الآن بعمق ونضع خطتنا على هذا الاساس.»

جلسا يفتحان ملفاً قديماً كان طي النسيان وبيرت مسرور لانها منحته فرصة ليثبت براءته، اما هي فترفض الاعتراف بانها اخذت تشك فعلاً في اقتناعها السابق بذنب بيرت.»

بدأ بيرت بالكلام مفصلاً الخطة:

«سنبدأ اولاً باستجواب افراد الطاقم ذلك لأن اقتفاء اثرهم سهل جداً وسنركز على المضيفات.»

«ولم التركيز على المضيفات؟»

«هذا منطقي لانه من الطبيعي ان تميل امرأة لا رجل الى اخفاء الممنوعات في علبة بودرة، فوجود مثل هذه العلبة في حقيبة رجل يثير شكوك رجال الجمرك حتى في الاحوال العادية. سأتوجه الى مكاتب الشركة يوم الاثنين للحصول على عناوين المضيفات.»

«وهل يقبلون باعطائك اياها؟»

اجابها بمكر:«المسؤولة هناك صديقة قديمة وبوسعي اقناعها ببساطة.»

اعاد كلامه الى ذاكرتها انه شاب وسيم يملك جاذبية كبيرة على سحر النساء والتلاعب بعواطفهن كيفما شاء، ولن يصعب عليه بالطبع اقناع صديقته باطلاعه على العناوين.

وكمحاولة لثنيه عن عزمه قالت:

«سوف تستغرق مقابلة هذا العدد من الناس وقتاً طويلاً.»

«سأطلب اجازة ادارية واتفرغ لذلك.»

« وهل تتوقع استجابة الشركة لطلبك؟»

«سأدعي ان هناك جديداً عن زوجتي كما فعلت في المرة السابقة وقد اعطوني يومها ستة اشهر امضيتها بالبحث المضني عنك في شمال افريقيا.»

جلس بيرت ولين في السيارة بعد مقابلتهما احدى المضيفات السابقات وهي تسكن في منطقة مايفير اللندنية الراقية. وكان بيرت قد استبشر خيراً بالعنوان معتبراً ان سكن المضيفة في هذه المنطقة قد يعني انها توفر المال بالتجارة غير ان آماله تبخرت عندما تبين ان المضيفة تركت عملها وتزوجت من احد كبار الاثرياء، كما ان المرأة اظهرت كل تجاوب واستعداد للمساعدة في كشف الحقيقة فرضيت باخذ بصماتها.

وخرجت لين بعد المقابلة والشعور بالخيبة والخجل يغمرها بعد احراج المرأة بهذا الشكل، فتنهدت وقالت:

«لا فائدة ترجى من هذا البحث العقيم والفاعل لن

www.elromancia.com

يأتي ويقدم اعترافه على طبق من فضه. نحن نضيع وقتنا هباء.»

لم يكن بيرت من رأيها اذ اكد:

«كفي عن مثل هذا الكلام الاستسلامي حققنا حتى الآن مع ثلاث مضيفات وبقيت لدينا اثنتان.»

«تماماً، وواحدة منهن تعيش في استراليا وانت طبعاً مستعد للحاق بها الى الطرف الآخر من العالم لترضي رغباتك البوليسية.»

«وما المانع من اللحاق بها اذا كان ذلك يساعدنا؟ اين روحك القتالية التي بها وحدها ستنجحين في اثبات براءتك؟»

اطلقت لين زفرة متعبة وقالت:

«آسفة اذ اظهرت ضعفاً، فمقابلة اناس عايشوا الحادثة تحيي ماضياً شائناً.»

«لنذهب لمقابلة المضيفة سوزان سوندرز التي تقطن في هتفوردشير.»

«معلوماتك تقول انها تزوجت وصار اسمها سوزان وارنر. انا لا اذكر سوزان هذه.»

« وانا ايضاً نسيتها تماماً. اعطني خريطة لندن وضواحيها من المقعد الخلفي لأتأكد من الطريق التي لن تستغرق اكثر من ساعة، فهتفوردشير تقع بالقرب من واتفورد على ما اعتقد.»

لم تصح حسابات بيرت لان السير كان كثيفاً للغاية فتوقفا لتناول الغداء في احد المطاعم قبل معاودة

الانطلاق في الاتجاه المقصود. وصلا المكان في حوالى الثانية ظهراً ليجدا ان العنوان يشير الى بيت قديم ومهمل ولا يبدو انه صالح لايواء عائلة.

فترجلت لين من السيارة وتبعها بيرت قائلاً:

«هيا بنا.»

«لا يعقل ان يكون هذا المنزل ملكاً لتاجر ممنوعات حصل على مال وفير.»

«من الارجح ان يكون ساكنوه من المدمنين لا من التجار.»

دخلا عبر بوابة حديدية صدئة الى ما يجب ان يكون في الاصل حديقة حيث نمت اشواك ونباتات طفيلية مختلفة والقيت دراجة صغيرة مهترئة الى جانب بعض الالعاب المحطمة.»

طرق بيرت الباب بيده نظراً لغياب الجرس، فعلا صراخ طفل يلعب في الداخل ونباح كلب لم تسكتهما اوامر امرأة فتحت الباب قائلة:

«نعم.»

نظرت لين الى المرأة الواقفة امامها بشعرها المشعث وثيابها القذرة، تحمل ولدها الحافي وتحاول اسكات الكلب الثائر. وتمكنت من معرفة زميلتها السابقة التي كانت تعمل معها على خط لندن ميامي برغم من تحولها من فتاة رشيقة جميلة الى امرأة بائسة فقيرة. اما المرأة فنظرت الى لين مستغربة ثم الى بيرت فبدا الذهول عليها، وتبعه الشعور بالخوف

والذنب. وحاولت اقفال الباب بوجه الزائرين، لكن بيرت كان اسرع منها ومنعها بكتفه قائلاً:

«نود التحدث اليك قليلاً يا سيدة وارنر.»

دخلا المنزل وتبعا سوزان وارنر الى مطبخ تعلو جدرانه القذارة وتفوح منه روائح كريهة. وهناك جلس رجل على كرسي متحرك يحمل رضيعاً بين يديه وعيناه جامدتان لا تعبير فيهما.

وقبل ان يتكلم بيرت قالت سوزان:

« كنت اعلم ان الحقيقة ستنكشف يوماً.»

واخذت المرأة تجهش بالبكاء فأمرها بيرت بلهجة وحشية:

«اعترفي بكل شيء والا فضحت امرك للشرطة.»

انهارت سوزان واقرت بكل شيء:

«كنت مرغمة على التهريب لانقذ حياة ستيف.»

اشارت بيدها الى شبه الرجل الجالس هناك وتابعت:

«كان مريضاً الى درجة خطيرة فهدده رجال العصابة بقطع المساعدة عنه اذا لم اقم بالتهريب، ولكي يقنعوني اكثر قاموا بضربي وضربه بشدة.»

«هل كنتما متزوجين يومها؟»

«لا. انما كنا نعيش معاً.»

وقفت لين تشاهد ما يجري امامها كشريط سينمائي خيالي باهر وهي تكاد لا تصدق السهولة التي استخرج فيها بيرت الحقيقة من هذه المرأة المنهارة. فاخبرته بعدد المرات التي قامت فيها بالتهريب

وكيف تم اعلامها بأن رجال الجمارك في مطار لندن تلقوا اخباراً عن العملية، فدفعها الهلع الى دس العلبة في حقيبة لين على الطائرة. ولما سألها بيرت لماذا اختارت حقيبة لين لا غيرها اوضحت انها فعلت ذلك لاحتمال اكتشاف بصماتها على العلبة، فتستطيع دفع التهمة عنها بالتذكير كيف وقعت الحقيبة من يد لين في ميامي وتبعثرت اغراضها على الارض فتطوع جميع افراد الطاقم لجمعها، فيغدو وجود بصماتها على العلبة امراً طبيعياً.»

كان للحقيقة في نفس لين وقع الصاعقة فوقفت من دون حراك وكأن احداً سحب الدم من عروقها وخدر عقلها. كيف تتصرف الآن حيال هذه المرأة التعيسة وحيال بيرت البريء؟

وأخيراً ارغم بيرت المرأة على تدوين اعترافها والتوقيع عليه، ثم حمل الاوراق وقال:

«اتعلمين ان هذه الاوراق ستؤول الى الشرطة؟»

اجابت سوزان باستسلام:

«اجل ولن احاول الاعتراض او الانكار فقد ارتحت من عذاب تأنيب الضمير عند اعترافي بالحقيقة التي اخفيتها طيلة هذه السنوات.» ثم نظرت الى ولديها واضافت:

«ماذا سيحل بهذين الطفلين البريئين؟»

نظر بيرت الى الرجل القابع من دون حراك في كرسيه المتحرك وسأل:

«وهل هذا زوجك؟»

«نعم.»

«ماذا حصل له؟»

«كان يقود السيارة وهو في حالة ضياع بسبب المرض فاصطدم بعمود كهربائي وصار مشلولاً.»

التفت بيرت الى لين قائلاً:

«لنغادر هذا المكان.»

اضطر بيرت الى معاودة كلامه بصوت مرتفع حتى تسمعه لين المتخبطة في خضم من الافكار الحزينة، والتي جفلت لما سمعت بيرت يدعوها للخروج. فمدت يدها طالبة اوراق الاعتراف، وعندما سلمها بيرت اياها دنت من المرأة المحطمة وقالت:

«لا حاجة للخوف يا سوزان فلن تري لنا وجهاً بعد اليوم.» مزقت لين الاوراق ورمتها على الارض، وخرجت مسرعة من المنزل المعتم كالسجن الى الهواء الطلق لتستطيع التنفس ورؤية نور الشمس.

انضم بيرت اليها واستقلا السيارة باتجاه الريف صامتين لا يجدان كلمات تعبر عن الموقف. وبعد نصف ساعة انعطف بيرت يميناً في درب ضيقة واوقف السيارة في مكان بعيد على سفح تلة خضراء. فتح نافذة السيارة ليتمتع بزقزقة العصافير المتنقلة بحرية بين احضان الاغصان المضيافة، ورمق لين بنظرة اعجاب قائلاً:

«قمت بعمل جريء فعلاً في منزل سوزان.»

«قاست هذه المسكينة ما فيه الكفاية وعانت الامرين في منزل احقر من السجن. وفضح امرها للشرطة لن يرجع عجلة الزمن للوراء ويعيد الي سنواتي وسنواتك الضائعة.»

فتحت لين باب السيارة وراحت تعدو باتجاه الغابة على العشب الاخضر الطري، ولم تتوقف الا بعد ان توغلت في الطبيعة الطاهرة ووقفت لتنصت الى شدو العصافير وتتأمل لوحات الجمال التي ترسمها الفراشات الملونة السابحة في الهواء، بيتها الزهور وملعبها الرياحين.

بقيت لين في مكانها تعب من جمال الطبيعة والهواء النقي ما ينسيها مرارة الواقع، وعمق الوحول التي سقطت فيها واسقطت معها بيرت بلا ذنب.

لقد انتقمت من رجل بريء، خطأه انها لم تثق فيه ولم تؤمن بحبه. كيف تستطيع التعويض على هذا الانسان الذي تلقى منها الضربات برحابة صدر وساعدها على الخروج من محنتها؟ وها هي الآن تدخل في محنة اقسى، محنة وخز الضمير العادل الذي لن يريحها قبل ان يسامحها بيرت.

حين وصل بيرت اليها التفتت نحوه وانفجرت باكية وهي تقول:

«انا آسفة لكل ما حصل.» وسقطت على الارض صائحة:

«ولكن ما نفع الأسف بعد حماقاتي وجرائمي؟»

«الاجوبة الصريحة قد تنفع حيث يفشل الأسف.»

رفعت عينيها الدامعتين اليه هامسة بما يشبه الامل:

«اي اجوبة؟»

تردد بيرت قليلاً قبل ان يقول بسرعة:

«اكنت جادة عندما اعترفت لي بحبك قبل دخولك السجن؟»

التقطت لين ورقة شجر صفراء عن الارض وأجابت:

«لو لم اكن احبك لما استطعت ان اكرهك الى هذا الحد.»

« وفي سنغافورة؟»

« في سنغافورة كنت اكرهك واكره نفسي اكثر. فكلما امعنت في لعبتي كنت اقنع نفسي اني اكرهك حتى لا اجبن واتراجع لانني في الحقيقة...»

لم تقو على اكمال الكلام فالعبرات حجبت عنها الرؤية والغصة خنقتها، فشدها بيرت اليه بعنف سائلاً:«والآن؟»

ألقت رأسها على صدره معترفة:«احبك! وسأظل احبك مهما حصل.»

تنفس بيرت الصعداء وكأن ثقلاً كبيراً ازيح عن صدره، فاحكم ذراعيه حول خصرها وهي بدورها دفنت وجهها في عنقه متنعمة بالدفء والامان بين احضانه.

«هل استحق ان احظى باهتمامك بعد اليوم يا بيرت؟ هل استحق ان تسامحني؟»

«اعتبري الأمر منسياً.»

«كيف يمكنك النسيان؟»

«يبدو ان قدري مرتبط بقدرك يا لين مهما حاولت تفاديك. والحقيقة ان حياتي من دونك تبدو بلا معنى شئت ذلك ام ابيت.»

مسح دموعها بيديه وعانقها بحرارة تعني في ما تعنيه طيّ صفحة الماضي الأليم وفتح صفحة جديدة من الحب والسعادة. ولين لم تهرب هذه المرة بل بادلته العناق.

لم يعد الحبيبان الى السيارة حتى حلول المساء. قاد بيرت السيارة ببطء ولين ملقية رأسها على كتفه وكأنها لا تريد الابتعاد عن حبيبها بعد الآن، فهي تكاد لا تصدق ان ما حدث حقيقة وانها وجدت اخيراً طريقها الى الهناء.

منحها بيرت نظرة وابتسامة ملؤهما الرقة والحنان واكمل الطريق حتى بلغ فندقاً صغيراً محاطاً بالحدائق الغناء، فاوقف السيارة قائلاً :

«هذا المكان يبدو مناسباً.»

«لتناول العشاء.»

«بل لتمضية شهر العسل.»

ضحكت لين بادىء الامر ولكنها فطنت لشيء فسألت:

«ايمكن اعتبارنا متزوجين بنظر القانون؟»

«ولم لا؟»

rubyromance.com

«لكنني تزوجتك باسم مزيف.»

«لا آبه لذلك ما دام حبك حقيقياً وأصيلاً.»

ترجلا من السيارة وهمَا بدخول الفندق عندما سألته:

«ماذا سنقول لذويك واصدقائك؟»

«سنخبرهم بالحقيقة او نختلق لهم قصة مقنعة. ألست بارعة في التأليف والكذب؟»

اطلقت لين ضحكة عالية موافقة على كلامه ووضعت يدها في يده قائلة:

«هذه التفاصيل تافهة ما دمنا معاً.»

وسارا سوية خطوة على درب يسطع فيها فجر السعادة بعد نفق طويل مظلم.

تـــمت

www.elromancia.com